الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية-شعبة التاريخ

علاقة الأمير عبد القادر بالسلطة المغربية

(1832م-1847م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الملستر

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
حنان سالم وحشية
كلثوم خرشاوي

إشراف الأستاذ:
أحمد بن يغزر

السنة الجامعية: 2017/2016م

شكـــــــــــر وعرفـــــــــان

الحمد لله فاتق الإصباح وخالق الأرواح، الحمد لله ما أقبل نجمه وأدبر وما أغشق ليل وأذكر

وما أشرق نهار وأنور إلا به، بيده العظمة والسلطان والقدرة والبرهان نحمده كثيرا على حسن توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع، الذي ما هو إلا ثمرة الجهود التي بذلناها طيلة مشوارنا الدراسي من الابتدائي وصولا إلى الجامعي.

وعرفانا بالجميل اتجاه من ساهم من قريب أو بعيد في مذكرتنا ، نتقدم باسم عبارات التقدير والشكر الجزيل إلى أستاذنا المحترم الذي أشرف على إعداد هذه المذكرة،" بن يغزر أحمد" لم يبخل علينا بنصائحه و إرشاداته وانتقاداته القيمة التي لم تزدنا إلا إصرارا على العمل إلى كل من جعل من الأوراق المبعثرة مذكرة منظمة يطيب للغير قراءتها، وإلى كل موظفي وموظفات المكتبة الجامعية، نشكرهم جزيل الشكر على المجهودات المبذولة والتسهيلات الممنوحة، وصبرهم معنا خاصة الأخ ناصر.

إلى كل من وفر وهيئ لنا الأجواء الملائمة والمريحة، التي تم فيها إعداد مذكرتنا، من أساتذة وموظفي جامعة الجيلالي بونعامة، إلى كل من ساعدنا ولو بالكلمة الطيبة.

إهـــــــــــــــــــــداء

بعد السجود لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى معروفه الذي لا ينقضي أبدا، الذي تحسن الأشياء أن يكون هو أولها، ولا تستقيم الأمور إلا أن يكون هو مديرها.

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من ارتبطت طاعتها بطاعة الله عز وجل إلى الجوهرة الغالية والدرة العاتية صاحبة القلب الرءوف والصدر العطوف إلى من بكت وضحكت أنا وشقيت وسعدت أنا وضحت وتوجت أنا إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها وجعل الجنة تحت أقدامها.

إلى من غرس في نفسي العزيمة والإيمان وسقاهما بفيض الحب والحنان إلى من علمني حب العمل والإخلاص فيه إلى من اكتوى بلسعات الدنيا لنعيش نحن محترمين إلى من علمني الصبر والقناعة بالقليل إلى من ساعدتني نصائحه على مواصلة النضال والدرب بكل بسالة إلى والدي الغالي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى التي شاركتني هذا المجهود وكانت الصديقة والأخت التي كلما أحتاجها ألقاها في أصعب أوقاتي أختي ورفيقة دربي "حنان".

إلى كل إخوتي وزوجاتهم وأخواتي وأزواجهم إلى كل أولادهم خاصة الكتاكيت وسام وصهيب مروى، فرح، رتيل، أمير، رفيف وبثينة.

إلى صديقات الدرب نعيمة فاطمة الزهراء سهام، فتيحة، سعدية، كريمة، نعيمة، فتيحة وإلى كل زملائي عبد القادر ونور الدين، هشام وإسلام وإلى كل أساتذتي وطلبة كلية العلوم الإنسانية خاصة طلبة التاريخ الحديث والمعاصر، إلى كل من اتسعت لهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

كلثـــــــــــــوم

إهـــــــداء

باسم الله الحي الذي لا يموت والحمد لله على نعمه التي سخرها لنا، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى الصديق الأمين.

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من صبر وتحمل إلى من بكى وعمل، إلى من شقى وتألم إلى من طالت لياليه سهرا يفكر في دراستي إلى من تلاشت قواه ليقوي وقفتي إلى من علمني الكلام والدي العزيز أطال الله عمره.

إلى قرة عيناي وكاتمة أسراري إلى حضني الدافئ ومن قال فيها الله سبحانه وتعالى الجنة تحت أقدامها أمي حبيبتي أطال الله عمرك.

إلى روح أجدادي الطاهرة، وإلى إخوتي وأخواتي محمد أيوب حسام الدين، وعبد الجليل وعفاف حبيبة ووسيلة وخيرة، إلى علي وعبد القادر ومحمد.

إلى براعم العائلة منار وينيس، وهديل، ولاء، وعلي، وآلاء، هبة الرحمان، الكتكوتان رتاج وعبد الرحمان.

إلى من وقفت بجانبي في السراء والضراء إلى من مسحت دموعي وأسقتني حبا وقت الشقاء إلى من أعتبرها توأم روحي التي لم تلدها لي أمي "كلثوم"، وإلى صديقاتي المحترمات خاصة فتيحة، سهام، فتحية، ومن جمعتني بهم روابط الحب والأخوة كريمة، سعدية، مريم وخيرة.

حنـــــــــــان

مقدمة:

كانت العلاقات الجزائرية المغربية تتراوح ما بين المد والجزر، رغم ما يجمع بين الدولتين من روابط الجوار واللغة والدين.

يتناول موضوع بحثنا الذي جاء تحت عنوان **العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر(1832-1847)** مسار تطور العلاقات بين المملكة المغربية ومقاومة الأمير عبد القادر ضد الوجود الفرنسي.

زمنيا يمتد بحثنا ما بين سنتي 1832- 1847 وهي الفترة التي تعتبر مهمة في تاريخ الجزائر لأنها تزامنت مع نهاية الحكم العثماني في الجزائر ودخولها تحت الاحتلال الفرنسي وظهور مقاومة مسلحة.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع:

أ) الأسباب الذاتية:

- اهتمامنا الكبير بالدراسات التاريخية المتعلقة بالعلاقات الجزائرية المغربية خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

ب) الأسباب الموضوعية:

- إزالة الغموض عن بعض الأباطيل الفرنسية التي اتهم بها الأمير عبد القادر بأنه سلم نفسه للعدو، ومعرفة بعض المخططات التي حبكت من طرف فرنسا للحد من دعم المغرب للأمير.
- كشف خفايا العلاقات الجزائرية المغربية، وتوضيح غموضها وتأثيرها في بعضها وتطور هذه العلاقة بين البلدين في حالة الضعف والقوة وحالة الاضطراب والاستقرار.

وعليه جاءت إشكالية موضوعنا كالأتي: ما هي العوامل التي دفعت سلطان المغرب إلى تغيير موقفه من الدعم لمقاومة الأمير إلى المواجهة العسكرية؟ هل يرجع ذلك إلى التهديد الفرنسي للمغرب؟ أم خشية السلطان من توتر الحالة الداخلية للمخزن؟

أما الأسئلة الفرعية جاءت كالآتي:

- ما هو موقف المغرب سلطة وشعبا من الاحتلال الفرنسي للجزائر؟
- ما هو واقع العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر؟ وما هو موقف السلطان عبد الرحمان من الأمير بعد معركة إيسلي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على الخطة التالية:

الفصل التمهيدي: جاء تحت عنوان "**طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني**" تناولنا فيه واقع العلاقات الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني، وموقف المغرب سلطة وشعبا من الاحتلال الفرنسي.

أما الفصل الأول: جاء تحت عنوان "**علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب (1832-1847)**" تضمن واقع العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر وتطرقنا إلى أشكال الدعم المقدمة من السلطان عبد الرحمان إلى حركة الجهاد الجزائرية، وموقف السلطات الفرنسية من ذلك، وأثر معاهدتي ديميشال والتافنة على العلاقات بين الطرفين.

أما **الفصل الثاني** جاء تحت عنوان "**إستراتيجية فرنسا للحد من الدعم المغربي للأمير(1839-1845)**" تضمن أهم عوامل تفكك العلاقات الجزائرية المغربية المتمثلة في سياسة فرنسا المنتهجة للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر، وتطور العلاقة بين فرنسا والمغرب والنتائج المترتبة عن ذلك.

أما **الفصل الثالث** جاء تحت عنوان "**التعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد بالمغرب الشرقي ما بين (1846-1847)**" تطرقنا فيه إلى إستراتيجية فرنسا والمغرب في القضاء على الأمير عبد القادر والذي تمثل في تحريض القبائل المغربية ضد الأمير من خلال بعض الرسائل كذلك الرشوة والهدايا والأموال، ثم تطرقنا إلى تطور المواجهة العسكرية بين الأمير والسلطان عبد الرحمان وما ترتب عن ذلك.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها:

المصادر التي تناولت الحديث عن الأمير عبد القادر وخصصت دراستها عنه نذكر:

المصادر التي نقلت عنه شخصيا حياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل الذي يكشف عن الوقائع السياسية والعسكرية والمواقف الإنسانية للأمير عبد القادر فيه نوع من الذاتية ذو طابع سردي للوقائع التاريخية، كذلك تحفة الزائر في جزئها الأول لمحمد بن عبد القادر التي أملاها عليه والده شخصيا وهو ذو طابع سردي وأسلوب عاطفي. كذلك مذكرات الأمير عبد القادر التي ألفها وهو في السجن والتي تناول فيها وبدقة ما عاشه في تلك الفترة.

وهناك بعض المصادر المغربية التي كان موقفها عاكسا للموقف الرسمي للمملكة المغربية من الأمير عبد القادر كالاستقصا للناصري والذي طعن كثيرا في الأمير عبد القادر بعد توتر العلاقات بينه وبين الأمير، كذلك إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس في جزئه الخامس لعبد الرحمان ابن زيدان.

أما المراجع نذكر أهمها:

كتابي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر والعلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير عبد القادر لإسماعيل العربي الذين استفدنا منهما كثيرا في جانب العلاقات في كلتا المرحلتين (الدعم والادعم)، وكتاب النظام الجهاد، الهجرة، في مغرب القرن 19 لأحمد المكاوي وهو من المؤرخين المغاربة الذي يعكس نظرة المغاربة حول موضوع العلاقات.

وبعض المذكرات التي أفادتنا كثيرا من بينها:

مذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر (1830-1847) لمحمد السعيد القاصري التي أفادتنا كثيرا في معرفة وجهة نظر المؤرخين المغاربة والمؤرخين الجزائريين حول تطور العلاقة بين البلدين، ومذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر (1830-1847) لنور الدين بلعريبي التي ساعدتنا في معرفة تغير موقف السلطان المغربي ضد الأمير.

ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا أن أهم المصادر في الموضوع ليست متوفرة خاصة الفرنسية.

وفي الأخير نعتقد أن عملنا لا يزال قابلا للتوسع والبحث بالاعتماد على مزيد من المصادر وخاصة الوثائق الأرشيفية، كما نتوجه بشكرنا لأستاذنا المشرف بن يغزر أحمد جزاه الله خيرا، وإلى كل أساتذة التاريخ.

المبحث الأول: واقع العلاقات الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني

1) واقع أيالة الجزائر العثمانية:

كانت الجزائر أواخر العهد العثماني تحت حكم الداي حسين[1] وهو آخر الدايات في الجزائر، إذ تدهورت أوضاع الإيالة في عهده، حيث انتشرت الفوضى والاضطراب وكثرة الفتن.

أ) الأوضاع السياسية:

تميزت الإيالة في هذه الفترة بالاضطراب لأن العثمانيون احتكروا السلطة وأبقوا الأهالي بعيدين عنها وعن دوائر الحكم[2]، ما ميز الفترة الأخيرة الفوضى وعدم الاستقرار لأن نظام الحكم كان غير عادل يعتمد على أصحاب النفوذ والامتيازات والمكانة الاجتماعية[3] بالإضافة إلى ميولهم وحفاظهم على العلاقة مع شيوخ القبائل وفرسان المخزن المناصرين لإدارة الريف في البايليك، وعليه فإن نظام الحكم العثماني اعتمد على عاملين عامل القوة والنفوذ وعامل المرجعية الدينية المؤثرة[4].

كما تميزت بانتشار الفتن والاضطرابات الداخلية لأن الحكام اهتموا بتبذير الأموال وقتل وسفك دماء المسلمين واستولوا على أوقافهم، كذلك تمرد الجند وأصبحوا يعينون الحكام ويعزلونهم حسب أهوائهم، وكثر قتل وعزل الدايات في إطار الصراع على السلطة، ولم يعد البايات يختارون إلا تبعا لصلاتهم برجال الأوجاق في العاصمة، والرشوة التي

---

[1] - هو آخر داي تركي في الجزائر(1818- 1830) خدم الأيالة أكثر من ثلاثين سنة، حريصا دائما على عدم إراقة الدم البشري، التحق بالجزائر عمل صيادا للسمك ثم تجند في ميليشيا الجزائر كأحد جنود الحامية التركية، ثم ترقى لرتبة عضو في الديوان، شغل منصب كاتب مخزن الزرع ثم خوجة الخيل، شهدت الأيالة في عهده الكثير من الحروب أجبرته على ترك الحكم وتوقيع معاهدة استسلام الجزائر مع فرنسا في 05 جويلية 1830. أنظر، حمدان خوجة: **المرآة**، تعر وتق محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر، 1982، ص ص 135- 136. وأحمد الشريف الزهار: **مذكرات(1754- 1830)**، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر ،1981، ص 141.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر_الثقافي(1500- 1830)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ص 144.

[3] – صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي(1514- 1830)**، دار هومة للطباعة، الجزائر، 2005 ، ص 61 وما يليها.

[4] – ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر**، مؤسسة جائزة سعود البابطين للإبداع الشعري، مطبعة مؤسسة ماجد الحكواتي، مكتبة الإسكندرية، 2000، ص ص 106-107.

يدفعونها مقابل المنصب يقول حمدان خوجة:"...**كان البايات في الفترة الأولى يعزلون إلا نادرا، ولكن في العقود الأخيرة كثرت التغييرات والاغتيالات في سلك البايات...**"[1] ووزعت المناصب على الأقارب أو من يدفع أكبر قدر من المال[2].

أما عن الوضع الخارجي للأيالة، فقد شهد ظهور تكتلات صليبية من أجل قضية الاسترقاق والقضاء على الجهاد البحري[3] في دول شمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة، إذ عرفت أوروبا سلسلة من المؤتمرات أهمها مؤتمرين مؤتمر فيينا 1814 ومؤتمر اكس لاشابيل 1818[4].

من الناحية العسكرية كانت الإيالة تعاني من نقص في الذخيرة الحربية، وعدم امتلاكها لوسائل دفاعية حربية حديثة، والجيش كان غير منظم وليست لديه القدرة الكافية على المواجهة، وأسندت أموره إلى قائد ليست له أية معرفة بالنظام العسكري، بالإضافة إلى تحطم الأسطول الجزائري في معركة نافارين 1827[5].

ب) الأوضاع الاقتصادية:

دخلت البلاد مرحلة من الركود، لتبلغ درجة من التقهقر والانكماش في معظم المجالات ولا سيما الاقتصادية منها متأثرة بالأوضاع الداخلية والخارجية للبلاد في مطلع القرن التاسع عشر[6].

بالنسبة للزراعة اعتمدت الجزائر على الطرق التقليدية، ومياه الأمطار نظرا لعدم توفر الخزانات والقنوات الإروائية، ومواد التسميد والمخصبات كانت مجهولة عند الفلاح

---

[1] – حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 141.

[2] - أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني(926- 1246هـ/ 1519- 1830م)**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009، ص 67.

[3] - المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير والواقع**، دار القصبة للنشر الجزائر 2009، ج2، ص 10 وما يليها.

[4] – فتيحة صحراوي: **الجزائر في عهد الداي حسين(1818- 1830)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010، ص 28.

[5] – حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 156 وما يليها.

[6] – ناصر الدين سعيدوني وآخرون: **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، م.و.ك، الجزائر ، 1984، ج4، ص 50.

الجزائري، واهتم الفلاحين كثيرا بتربية الماشية(الأغنام) التي تدر عليهم ثروة كبيرة إلى جانب الماعز والأبقار والجمال والخيل[1].

أما قطاع التجارة فقد عرف ركودا، نتيجة إهمال العلاقات التجارية مع إفريقيا، والدول الأوروبية، بسبب سيطرة القرصنة على الحياة في النيابة وما كانت تجلبه هذه القرصنة من بضائع مختلفة، والاحتكار الحكومي إذ أن ديوان الانكشارية كان أكبر تاجر في النيابة[2].

إن الاقتصاد الجزائري في القرن التاسع عشر لم يجد التشجيع الكافي من حكومة الدايات بسبب سيطرة الطبقة التركية التي كان يمثلها(الموظفون الكبار، قادة الانكشارية) على مقاليد الأمور في النيابة، وتراخي حكومة الدايات، الذين سلموا مقاليد أمورهم إلى اليهود مما زاد من حالة التخلف والانحطاط، وبتنديد شعبي واسع النطاق بهذا الضعف الذي بدر من الدايات إزاء(القوى المسيحية) والتجار اليهود، وخرق هؤلاء الدايات للقاعدة الإسلامية التي تعتمد على مبدأ المساواة والعدالة اتجاه الرعية، وفرض الضرائب والإتاوات[3].

أما الصناعة ارتكز نشاطها في أغلبه على الحرف اليدوية كصناعة الحرير والصوف والجلود والمناديل والأحزمة ونوع من العمائم، والقماش، بالإضافة إلى النجارة والحدادة وصناعة الأسلحة والذهب وغيرها من الصناعات[4]، تراجع هذا التطور في مطلع القرن التاسع عشر حيث انحطت نوعيته وتناقصت كميته وتعرض الصناع والحرفيون خلالها إلى أزمة إثر كساد مصنوعاتهم وانخفاض أسعارها بسبب الضرائب التي فرضها الحكام على الحرفيون، وإقبال هؤلاء الحكام على شراء المصنوعات الأوروبية وتشجيع الاستيراد من الخارج، وهذا ما أدى إلى تقلص النشاط الصناعي، الذي كان سببه عدم وجود سياسة اقتصادية واضحة لدى النظام المركزي في الجزائر[5].

---

[1] – فتيحة صحراوي: **الجزائر في عهد الداي حسين(1818– 1830م)**، المرجع السابق، ص 32.

[2]– الغالي غربي وآخرون: **العدوان الفرنسي على الجزائر– الخلفيات والأبعاد**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مطبعة دار هومة ، الجزائر، 2007، ص 38.

[3] – نفسه، ص 39.

[4] – محمد العربي الزبيري: **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي**، مطبعة بن بولعيد، الجزائر، 1975، ص 178.

[5] – سعيدوني والمهدي البوعبدلي: **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، م.و.ك، الجزائر، 1984 ، ج4، ص 62.

ج) الأوضاع الاجتماعية والصحية:

اتسم الوضع الاجتماعي بالسوء إذ انتشرت الأمراض والمجاعات والجفاف والأوبئة حتى الكوارث الطبيعية، حيث عرفت الحياة الريفية قسوة شديدة تعرضت في الكثير من الأحيان إلى الغارات التركية لعدم استجابتها للضرائب المفروضة عليها، والصراعات الدموية التي كانت تعيشها القبائل الجزائرية بسبب السياسة التركية المنتهجة، بقي المجتمع يعيش فترة متوحشة وعداوات قاتلة[1].

يضاف إلى ذلك حدوث الكوارث الطبيعية التي أدت إلى تضرر الاقتصاد، وتناقض عدد السكان[2] والفيضانات والعواصف[3]، سببها عدم اهتمام الحكام الأتراك بأمور الصحة وانعدام الأدوية[4] وأصبحت الضرائب تجمع دون مراعاة أية سياسة، أو قانون[5].

ما زاد في تأزم الوضع هو الثورة التي شهدها الأتراك خلال القرن التاسع عشر، ألا وهي الثورة التي قادتها الطريقة الدرقاوية[6] عام(1219هـ/ 1804م) التي زادت الوضع تأزما[7].

د) الأوضاع الثقافية:

كان التعليم منتشرا ومستقلا عن سيطرة الدولة، كان السكان ينظمون بطرقهم ووسائلهم تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية وقد كان القرآن الكريم أساس التعليم، حيث كانت المدارس تمول بالأوقاف التي كانت مسئولة عن توظيف المعلمين

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 58.

[2] – نفسه، ص 58.

[3] - محمود إحسان الهندي: **الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة والاستقلال**، دمشق العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، 1997، ص ص 76-77-78.

[4] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص59 وما يليها.

[5]– حمدان خوجة: **المرآة**، المصدر السابق، ص 144.

[6] – هي طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية، تنسب الطريقة إلى مولاي العربي بن الحسن الدرقاوي(1150– 1239هـ/ 1737– 1823م)، الذي يقيم بالمغرب الأقصى في القرن الثامن عشر، انتشرت في الجزائر وكان أتباعها من الأوساط الشعبية، وكانت مراكزها توجد في وهران، وجنوب التيطري. أنظر، فتيحة صحراوي: **الجزائر في عهد الداي حسين** المرجع السابق، ص 40.

[7] – صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي(1514– 1830)**، المرجع السابق، ص 202 وما يليها.

وتوفير مساكن للطلبة، والمساجد والزوايا قاعدة تعليمهم إذ لعبت دورا كبيرا في تخرج عدد من الطلبة، وفضل المساجد التي كانت تدرس العلوم المختلفة[1].

تكفل الجزائريون بمشعل العلم رغبة منهم في الازدهار الثقافي والمحافظة على ما توارثوه من علوم ومعارف عبر الأجيال كجزء من التراث العربي الإسلامي، وهاجر التلاميذ إلى مراكش، وتونس، ومصر، والحجاز، والتقوا بعلمائها وتحصلوا العلوم على أيديهم وساهموا في نشر ما حصلوا عليه إثر عودتهم[2].

لقد توفرت الجزائر على عدد كبير من المكتبات في الجزائر قبل مجيء العثمانيين وقد حافظ عليها أثناء العهد العثماني أيضا، حيث كانت تكتب محليا عن طريق التأليف أو النسخ، أو تجلب من الخارج(الأندلس، مصر، اسطنبول، الحجاز)، والمخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب، حيث جلبوا كتب الفقه الحنفي ونسخ من صحيح البخاري وكتب الأدعية والأذكار التي تصدر عن الطرق الصوفية، والنسخ كان بالخط الأندلسي[3].

2) أوضاع المغرب الأقصى:

لقد شهد المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر حالة من الضعف لم يسبق لها مثيل، نتيجة للصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة، حيث ظهر التفكك والضعف بسبب التنازع على السلطة والخلافات الداخلية. حيث كانت الثورات يا إما بين أبناء السلاطين، أو تمرد أفراد الأسرة على بعضهم البعض.

كان السلاطين لعبة في أيدي الجند،لا سيما العبيد يعينونهم ويعزلونهم حسب هواهم ينتظرون المكافآت والهدايا عند تولي أي سلطان الحكم، وضعف شخصية السلاطين، لا يتمتعون بسمات القوة والهبة[4].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، ش.و.ن.ت، ط2، الجزائر، 1982 ص 162.

[2] – يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، د.م.ج، الجزائر، 1965، ص ص 157– 158.

[3] – ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر**، المرجع السابق، ص 123.

[4] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولة السعدية)**، تحق وتع جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء للنشر والتوزيع، 1997، ج8، ص ص 114– 115.

ظهر صراع بين أبناء المولى محمد على السلطة دام لمدة ثلاثة سنوات، حتى استتب الأمر لمولاي سليمان(1792- 1822)[1] وحد سلطته في كل أنحاء المغرب وحرر وجدة والمغرب الشرقي من الأتراك بطريقة سلمية، وسجلت سنوات 1805 و 1810 أوج حكمه، لكن سرعان ما عادت الفوضى في البلاد، وعاد العبيد في مكناسة والودايا في فاس بعد الصراعات التي دارت بين المولى سليمان وبربر الأوسط ما بين(1811- 1818)، ثم صراعه مع الشراردة في الجنوب[2].

عجز حكومة السلطان عن المحافظة على الأمن، مما أدى إلى ظهور اللصوص الذين اعتدوا على الأجانب، وبذلك سببوا حرجا للحكومة المغربية أمام الدول الأوروبية وقدموا لها المبررات للتدخل باسم حماية الرعية والمحافظة على الأمن مثل أحمد بن محمد الريسوني الذي كان يقوم باختطاف الأجانب، وتشجيع فرنسا للسلاطين المغاربة على الاقتراض والتورط في الديون بغرض الاستيلاء على المغرب[3].

الفوضى في الإدارة بسبب شراء المناصب وبيعها، كذلك الحاجة إلى جيش عسكري منظم ومتوازن ووسائل حربية حديثة، وانتشار الثورات الداخلية(ثورة بوحمارة[4])، مما أدى إلى انتشار الفقر والمجاعة، والبطالة وتدهور الجانب الاقتصادي نتيجة انعدام الأمن والاستقرار[5]. كذلك انتشار المجاعة بسبب الأضرار التي لحقت بالمحاصيل، واضطر المغرب إلى استيراد القمح والحبوب مقابل الأصواف والجلود. وانتشرت الأوبئة مع هجوم أسراب الجراد على جنوب المغرب فقضت على المراعي والمزروعات، وكثر الفقراء

---

[1] – أحد سلاطين الدولة العلوية ولد بمراكش في 1766، تمكن من حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية، واصل دراسته بفاس، وفي سنة 1792 تولي الحكم، فكان رجل علم قبل أن يكون رجل سياسة، وكان كثيرا ما يقدم الشريعة على المصلحة السياسية، توفي عام 1822. أنظر، الناصري: **الاستقصا**، ج8، المصدر السابق، ص 86 وما يليها.

[2] – الناصري: ج8، المصدر السابق، ص 121.

[3] – نفسه، ص 314.

[4] – اسمه الحقيقي هو الجيلاني بن عبد السلام بن إدريس الزرهوني، يجهل تاريخ ولادته، سمي بوحمارة للتقليل من شأنه بعد تمرده على السلطة، بذكائه تمكن من الاستيلاء على جزء كبير من المغرب، تعرض للاعتقال وسجن بالقصر الملكي بمدينة فاس في مكان يسمى بدويرية بوحمارة، توفي يوم الاثنين 13 سبتمبر 1909، بعد رميه بالرصاص ودفن ولم يسمع بوفاته إلا الخواص. أنظر، محمد الصغير الخلوفي: **بوحمارة من الجهاد إلى التآمر(المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909**، دار النشر للنشر والتوزيع، الرباط، دت، ص 5 وما يليها.

[5] – محمد رزوق: **دراسات في تاريخ المغرب، أفريقيا الشرق**، ط1، 1991، ص 77.

والمتسولون والمرضى وانتشر مرض الكوليرا بفاس ومكناس وحصد العديد من الضحايا وامتنع التجار عن تقديم تسليفات للفلاحين المغاربة أو الاستثمار في المغرب، وعجز المغرب عن تصدير سلعه الأساسية(الجلود والحبوب والصوف)[1].

أما في الجانب الاجتماعي، انخفض المستوى المعيشي وارتفعت نسبة البطالة وزاد الفقر والبؤس، وارتفعت نسبة الضرائب، واضطر عدد من التجار والشركات إلى وقف أعمالهم، وتلهفت الدول الأوروبية على امتلاك الأراضي والمزارع المغربية.

أما من الناحية الثقافية، مثل المغرب الأقصى منطقة جذب للعلماء (جامع القرويين) مقر للحركة العلمية ومنارة ثقافية فكرية وحواضر أخرى مكناس، أغادير، مراكش، إذ لعب أيضا العنصر الأندلسي دورا بارزا في بناء المساجد والمدارس.

3) العلاقات الجزائرية المغربية:

لقد شهدت الفترة ما بين(1800-1830)، بعودة الصراع بين الجزائر والمغرب الأقصى نتيجة الضعف الذي آلت إليه الدولة العثمانية، وعجزها عن الدفاع عن أقاليمها هذا ما شجع الأسرة العلوية على العودة إلى سياستها التوسعية القديمة[2].

تأثرت العلاقات الجزائرية في مطلع القرن التاسع عشر بفضل الطرق الصوفية، إذ أنه في سنة 1805م، قام أتباع الطريقة الدرقاوية بثورة ضد باي وهران ودعا أهل تلمسان إلى مبايعة سلطان المغرب، إلا أن هذا الأخير رفض بيعتهم، وتدخل المولى سليمان في إصلاح ذات البين بينهم، وأخمد ثورة درقاوة[3].

---

[1] – أمل عجيل وآخرون: **قصة وتاريخ الحضارات العربية القرن 19-20، ليبيا، السودان، المغرب**، (موسوعة تاريخية جغرافية، حضارية وأدبية)، 1998-1999، ص 130.

[2] – إسماعيل العربي: **العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير عبد القادر**، د.م.ج، 1982، ص 21.

[3] – عبد القادر فلوح: **العلاقات الجزائرية العثمانية(1818- 1830) على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، 2009، ص 18.

تميزت العلاقات في عهد المولى سليمان بالسلم والتضامن مع الداي حسين، وأهدى السلطان العثماني سنة 1820 آخر سفينة للداي حسين باشا[1].

وفي 1245هـ/1829م، حدثت نزاعات بين النمسا وفاس ووصل الأمر بينهما إلى الاصطدام المباشر، فساعدت الجزائر فاس في حروبها ضد النمسا، ولما وصلت الأخبار إلى الدولة العثمانية أن هناك خمسة سفن على أهبة الاستعداد للاشتراك بالقتال إلى جانب فاس وتتفق معها في محاربة النمسا، رفضت الدولة العثمانية هذه المساعدة مطالبة بحماية وصيانة سفن النمسا[2].

المبحث الثاني: ردود فعل المغرب إبان احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830

على إثر نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر وجد الداي حسين نفسه مضطرا إلى الاستسلام، ووقع معاهدة في 05 جويلية 1830 تقضي بتسليم الجزائر إلى فرنسا[3].

1) الموقف الرسمي من احتلال فرنسا الجزائر:

كان موقف السلطان المغربي عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سلبيا، واتسم بالحياد بسبب العلاقة العدائية اتجاه الداي حسين، بسبب الخلاف على الحدود، وأكثر من ذلك رحب بالحملة واستجاب بسرعة للخدمات التي طلبتها منه السلطات الفرنسية[4] بتموين الحملة حيث أصدر مرسوما في شهر أوت 1830 يقضي بتقديم كل ما تحتاجه الحملة من غذاء ولحوم وحيوانات وتأمين المراكب الفرنسية والسفن التي تعبر المياه الإقليمية

---

[1] – حفيظة مخاطري: **العلاقات السياسية الخارجية للجزائر في عهد الداي حسين(1818– 1830)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2005، ص 62.

[2] – عزيز سامح التر: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1889، ص 624.

[3] – إدريس خضير: **البحث في تاريخ الجزائر الحديث(1830– 1962)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، دت، ج1، ص 23.

[4] – إبراهيم ياسين: **موقف المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر(1830– 1847)**، جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب، 1987، ص 121.

المغربية[1]، والظاهر أن الدافع من وراء هذا الموقف المغربي الرسمي هو أطماع المغرب في التوسع على حساب الجزائر، وهي سياسة قديمة عرف بها المغرب الأقصى، أيضا المنافسة التي كانت بين دايات الجزائر والمخزن المغربي على الحدود في البحر الأبيض المتوسط، بالرغم من محاولات التهدئة بين البلدين وبعض مظاهر التقارب من حين لآخر، إلا أن العلاقة بقيت في حالة مد وجزر، هذا ما يفسر الموقف السلبي للدولة المغربية من الحملة[2].

ومن جهة أخرى عمل المغرب على إرسال جواسيس بعد سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين خاصة من رجال الطريقة الطيبية* والشاذلية والدرقاوية، الذين تنكروا في زي متسولين ودخلوا العاصمة الجزائر، وزودوا الفرنسيين بالكثير من الأخبار والأسرار التي أفادت الحملة كثيرا، وكانوا على اتصال دائما بالبعثات الدبلوماسية الفرنسية العاملة بالمغرب[3].

بعد الكارثة التي حلت بالجزائر ومدنها، تشتت شملها وتعاطف السلطان المغربي مع الشعب الجزائري الذي أصبح غير آمن لا على روحه ولا على ممتلكاته، إذ هاجر الكثير من الجزائريين إلى المغرب فارين من البطش والظلم الاستعماري الذي حل بهم، فاستقبلهم

---

[1] – جلال يحي وآخرون: **مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية**، دار المعارف، القاهرة، مصر 1982، ص 10.

[2] – نفسه، ص 10.

*الطيبية: أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني من أشراف المغرب الأقصى المتوفى سنة 1089هـ/ 1678م، غير أن الطريقة نسبت إلى أحد أبناءه مولاي الطيب، انتشرت في الجزائر كانت لها علاقات طيبة مع سلاطين المغرب حيث استخدموها ضد أعدائهم ومنافسيهم. واتخذت موقفا غير مشرف من احتلال فرنسا للجزائر. أنظر، صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البراق، مكتبة الشرق، لبنان، 2002، ص ص 227– 228. وإبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية(1837–1934)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 ص 507.

[3] – جلول المكي: **مسألة الحدود المغربية الجزائرية من (631– 1236هـ/ 1234– 1847م) وأثرها على العلاقات بين البلدين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص 127.

السلطان بطيب خاطر وشملهم بروح العطف وأعطاهم الكثير من الحرية[1]، وأرسل إلى عامل تطوان برسالة سلطانية يوصيه بحسن استقبالهم وإيوائهم، ومن المدن التي توجه إليها الجزائريين واستقروا بها تطوان[2] والعرائش، وجدة وتازة فجيج والناظور وطنجة، وأقاليم التوات وأصبحوا يتمتعون بالحقوق التي يتمتع بها الشعب المغربي، ومارسوا العديد من الوظائف، من بينها التجارة وصناعة الحرف وظائف مخزنية (أعمال الإدارة والقضاء والجيش)[3].

2) الموقف الشعبي:

كان موقف المغاربة مشرفا، فطالما جمع الإسلام والعروبة مصير هذه الشعوب ووحد شملها لمواجهة الأعداء والدفاع عن مكوناتهم العرقية والدينية، إذ حرص هؤلاء على تتبع الحملة وما حل بالجزائريين من ورائها، مبدين تضامنهم ومآزرتهم وتعاطفهم بما حل بإخوانهم الجزائريين، في هذا الشأن يقول شارل أندري جوليان:" **إن عيون كل المغاربة مركزة على غزو العاصمة الجزائرية، لقد أدخل نبأ سقوط المدينة الحزن على قلوب المغاربة**"[4].

---

[1] - محمد أمطاط: **الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830- 1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر**، تقديم محمد كنبيب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2008، ص ص 50- 51.

[2] – مدينة مغربية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط سكنها الأندلسيون بعدما خربها البرتغاليون وأصبحت من الموانئ المهمة في العهد العلوي، كان بها أهم قيادات السلطان مولاي إسماعيل، وكانت من بين المدن التي أسست لذاتها إمارة محلية في عهد الفتنة التي حلت بالمغرب بعد وفاة أحمد المنصور.أنظر، عمر بن قايد: **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوربا المتوسطية(فرنسا وإسبانيا)- 1659-1727**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ المركز الجامعي بغرداية، 2010 ص 166.

[3] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 52.

[4]– نور الدين بلعربي: **العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر(1830– 1847)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط المغرب– أوربا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2008، ص 32.

كانت الوسيلة الوحيدة لنقل الأخبار وتوعية الشعب والدعوة لمناصرة القضية الجزائرية هي الأدب والشعر، فقد ساهم العديد من الشعراء في أنقاض الروح المغربية الغيورة على الإسلام والعروبة ومن أبرز هؤلاء الشعراء محمد بن إدريس[1] الذي نظم قصيدة شعرية مطولة، عبر فيها عن الإساءة التي تعرضت لها المقدسات الإسلامية من تحويل المساجد إلى كنائس، وانتهاك الأعراض والحرمات، كما دعا في مطلعها إلى الجهاد في سبيل الله لصد العدوان والكفر حيث يقول:

يـا ساكني الغرب الجهاد الجهـاد فالكفر قد شاركم في البلاد

والشـرك قد ناصـب إشراكـه مستعبدا بكبـده للعبـاد

يا حمـاة الدين ما صبركـم والمشركون يطلبون البـداد[2]

ويقول فيها مشيرا إلى المغرب الأوسط(الجزائر):

واسطة المغرب قد حازهـا والأمر جد والبلاد في ازدياد

حوى الجزائر ووهرانـهـا وراع حاضر بذلك وبـاد

كما ساهم الأئمة والفقهاء ورجال الإصلاح في إحياء الوعي الديني والوطني والحث على التعاون والجهاد، وأن احتلال الجزائر ذريعة من أجل القضاء على الدين الإسلامي وتنصير المسلمين إلى الأبد، فدعوا إلى توحيد الصفوف من طرف المغاربة والجزائريين لمواجهة الخطر الصليبي[3].

استقبل المغاربة إخوانهم الجزائريين وأحسنوا ضيافتهم بعدما فروا من ظلم الاستعمار والعنصرية الفرنسية وفقدوا الكثير من أراضيهم وأبنائهم وأرغموا على الهجرة فوجدوا في

[1] – محمد بن إدريس العمراوي: من مواليد فاس 1209هـ/ 1794م، وزير مولاي عبد الرحمان وشاعره، توفي يوم 4 محرم 1267هـ/ 13ديسمبر1847م. أنظر، نور الدين بلعربيي، المرجع السابق، ص 32.

[2] – نور الدين بلعربيي، المرجع السابق، ص 32.

[3] - محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 52.

المغرب الدار التي تؤويهم من الشتات والتفرق، وأصبحوا يتمتعون بالحرية والعديد من الحقوق، فعملوا في مختلف المجالات كحرفيين وصناع ومزارعون[1].

كان من بين المهاجرين إلى المغرب فئة العلماء والقضاة الذين مثلوا القضية الجزائرية وتقربوا إلى السلطان الذي أصبح يعتمد عليهم في الكثير من الأمور والقضايا، فاستغلوا بدورهم هذا الوضع من أجل استعطافه والدفاع عن قضيتهم، وأيضا التجار الذين عملوا في جبل طارق، وكان لهم دور في جلب الأسلحة من أجل دعم حركة جهاد الأمير عبد القادر، والتأثير في الشعب المغربي لدعم القضية الجزائرية.

3) إستنجاد سكان تلمسان بسلطان المغرب:

رغم محاولة الجزائريين في الدفاع عن أنفسهم ضد العدو الفرنسي، والوقوف في وجهه، بعد استيلاءه على الجزائر سنة 1830، تعرض إقليم تلمسان إلى حالة من الاضطراب حيث شهد اكتظاظا إثر نزوح عائلاتهم إليه بعد فقدانهم الحكومة التي كانت ترعى وتهتم بأحوالهم وتستمع لمشاكلهم ويرجعون إليها لتنظيم صفوفهم من أجل الجهاد والوقوف في وجه المستعمر[2].

بعد المشاورة والأخذ والعطاء انتهوا إلى تكوين حكومة شعبية قومية تدافع عن الوطن وأسندوا هذه المهمة إلى شيخ الطريقة القادرية محي الدين بن مصطفى عميد آل سيدي قادة بن المختار من معسكر وهو والد الأمير عبد القادر، لكنه رفض بسبب تقدمه في السن، فأرسلوا وفدا مكون من مائة شخص من أعيان منطقة الحضر والكراغلة إلى سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمان بن هشام في ربيع الأول 1246هـ/سبتمبر

[1] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 53.

[2] – نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 35.

1830م، ولما عرضوا عليه رغبتهم في الدخول تحت حمايته من الاحتلال الصليبي رفض ذلك[1].

بعد عرض القضية على علماء فاس رفضوا هذا الأمر بحجة أن تلمسان تحت سلطة العثمانيين ولا يحق لهم التدخل فيها، ثم قاموا بإرسال وفد ثاني مشكل من الكراغلة والعرب، من بينهم الكرغلي بورسالي ومن الأعيان رمضان تريكي وبن دادوش غورمالة ومصطفى ابن إسماعيل، آغا الدواير والمازاري آغا الزمالة[2] الذين استقبلهم مولاي عبد الرحمان ووافق على طلبهم، وأنشأ منصبا جديدا هو خليفة السلطان على تلمسان، وأوكله إلى ابن عمه مولاي علي [3] ، وبعث معه خمسمائة رجل من فرق النخبة مع مائة جندي من الرماة[4]. وقد جاء في مذكرات الأمير عبد القادر ما يلي: " **وكان عند دخولهم وهران أجمع عزم أهل وطننا أن يسندوا أمرهم إلى سلطان فاس ضانين أنه على شيء**". فكاتبوه مستنجدين به، شاكين له ضررهم وحلول النصارى بأرضهم وموافقة الباي حسين وبعض عماله على طاعة دولتهم، ودعاوي مقاتلة أعراب جميع الجزائر في بعضهم وتخريبهم وكثرة الموت في كل قبيل، وعدم الأمن على المسافر ولو بنفسه فضلا عن أمر الفوضى والغوغاء[5].

كان سكان تلمسان يرغبون في الاعتماد على قائد تكون له كلمة مسموعة، يلم شملهم ويوحد صفوفهم للقضاء على الفوضى وانعدام الاستقرار التي كان سببها غياب النظام والقيادة.

---

[1] - الأمير عبد القادر: **مذكرات الأمير عبد القادر(سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849)**، تح محمد صغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة، ط1، الجزائر، 1995، ص 79.

[2] – إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص ص 336– 337.

[3] – مولاي علي ابن عم مولاي عبد الرحمان سليمان، عين خليفة على تلمسان وعمره 16 سنة فرافقه القائد إدريس عامل عمالة وجدة كمستشار ومرشد سياسي للسلطة الجديدة. أنظر، عبد الكريم غلاب: **تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 2005، ج3، ص 25 وما يليها.

[4] – عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ص 26 وما يليها.

[5] – الأمير عبد القادر: **مذكرات الأمير**، المصدر السابق، ص 139.

ظهر ولاء الجزائريين للسلطان مولاي عبد الرحمان في ذكر اسمه في خطبة الجمعة والأعياد، واستمر هذا الوضع حتى في عهد الأمير عبد القادر، وطلب الأمير مولاي عبد الرحمان من مختلف القبائل الاعتراف بالسلطة الجديدة، وللسلطان مولاي عبد الرحمان بالولاء والسيادة، وكان بنو هاشم وشيوخهم وبنوا مهاجر وبنو عامر من بين أول المعترفين به، فكانت الخطبة يوم الجمعة تعلن باسمه في المساجد[1].

كما تشير بعض المصادر إلى مبايعة والد الأمير عبد القادر للسلطان المغربي إذ يقول: " **إنه جاءني مكتوبك في زاويتي واستبشرت به وبشرت وتبركت به وباركت وها أنا أتيك بجميع أشراف بلادنا وعلمائها وصلحائها ورؤسائها**"[2].

لم يستطع السلطان مولاي عبد الرحمان تحقيق الأمن والاستقرار لسكان إقليم تلمسان فاستمرت الفوضى وانعدام الأمن، خاصة بعد تعيين ممثل مولاي علي الذي لجأ إلى سياسة القوة والعنف، وتحول الموقف من المؤيد إلى المعارض، ومن بينهم مصطفى ابن إسماعيل وربما ترجع المعارضة إلى سياسة مولاي علي الظالمة والمستبدة من جهة، ومن جهة أخرى رغبة المعارضين في امتلاك السلطة والزعامة والاحتفاظ بها لأنفسهم، إضافة إلى امتناع سلطان المغرب في إرسال قوى عسكرية من أجل محاربة الغزو الفرنسي للأراضي الفرنسية. لهذا أرسل الجنرال كلوزيل ضابط أركانه أوفراي إلى المغرب يحتج على تدخل المغرب في شؤون المستعمرة، كما قام دامريمون باحتلال المرسى الكبير دون مقاومة في 12 ديسمبر 1830، وسلم الباي حسن مدينة وهران وانسحب إلى الشرق في جانفي 1831[3].

[1] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 50.

[2] – الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 140.

[3] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 130.

لجأ مولاي علي إلى سياسة البطش والنهب ضد السكان، واغتصاب أملاكهم وثرواتهم جعل السكان ينفرون منه ومن سياسته المجحفة الجاهلة[1].

تدهورت الأوضاع بعد الاحتلال الفرنسي، وانتشر الفساد، وزاد الصراع بين القبائل في الناحية الغربية للبلاد، ولم يجدوا حل سوى اللجوء إلى طلب النجدة من السلطان مولاي عبد الرحمان الذي لم يحصلوا منه إلا على القليل من الدعم بسب الظروف الحرجة التي كانت تمر بها البلاد في تلك الفترة[2].

من جهة عرف الاقتصاد ركودا في هذه الفترة بسب انشغال الفلاحين بالحروب القبلية والدفاع عن أنفسهم، وتدهورت التجارة وقلت المبادلة مقارنة مع السابق بين المدن والأرياف[3].

[1] – الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 140.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 131.

[3] – نفسه، ص 131.

المبحث الأول: واقع العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر

1) أسباب تنامي العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان

قبل أن نتطرق إلى أسباب تنامي العلاقات الجزائرية المغربية رأينا أن نعرف بالشخصيتين المهمتين في موضوع بحثنا الأمير عبد القادر قائد حركة الجهاد الجزائرية، والسلطان عبد الرحمان بن هشام حاكم المغرب في فترة الدراسة.

أ)التعريف بالأمير عبد القادر:

هو عبد القادر ناصر الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين، ولد يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ/ 25 سبتمبر 1807م[1] بقرية القيطنة[2] قرب مدينة معسكر * بالغرب الجزائري، وهو من أسرة شريفة يتصل نسبها بالإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما خصص له أبوه عاطفة واهتمام غير عادي، إذ كان والده رجل علم وتقوى لديه زاوية يقصدها العلماء ولديه سمعة طيبة عند الناس[3].

بدأ الأمير تعليمه في المدرسة التي كان يشرف عليها والده، إذ كان لديه نبوغ غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وأصبح طالبا عندما كان في الثانية عشرة، وحفظ القرآن الكريم في الرابعة عشرة وكان متمكنا من القرآن الحديث وأصول

---

[1] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ج4، ص 280.

* معسكر مدينة مغربية يعود تأسيسها إلى القرن الثاني للهجرة، تمتد من جبال المناور شرقا إلى جبل كرسوط غربا من القالعة شمالا إلى واد البنيان جنوبا، جعلها السلطان يغمران بن زيان قاعدة لجيشه(الحشم)، وأقام بها الحصون لمحاربة أعداءه لذا اشتهرت بأم عسكر اتخذها الأمير عبد القادر كعاصمة له. أنظر، نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 42.

[2] – قرية على بعد 28 كم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير والتي ولد فيها، هدمها بيجو في سبتمبر 1841. أنظر الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 48.

[3] – برونو اتيين: **الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر لبنان، ط1، بيروت، 1997 ص 17.

الشريعة، بدأ يعطي دروسا في جامع الأسرة يفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد، وفي سن السابعة عشرة كان فارسا مهيبا لا يدانيه أو ينافسه أحد.[1]

في عام 1821 انتقل إلى مدرسة بوهران يسيرها سيدي أحمد خوجة، فيها واصل تعليمه وبعد سنتين فقط عاد إلى قريته أين تلقى تعليمه على يد سي أحمد الطاهر قاضي آرزيو وأطلعه على العلوم الحديثة(الفلك والحساب، والجغرافيا وأطلعه على الشؤون الأوروبية) ثم انضم إلى جماعة رجال الدين وطلاب المعرفة لدراسة العلوم القرآنية.[2] تزوج الأمير عبد القادر شابا يافعا على الطريقة الإسلامية وطبقا لنصوص القرآن.[3]

في سنة 1823 قرر محي الدين أداء فريضة الحج وهو في الخمسين من عمره، أخذ ابنه معه، وفي نوفمبر 1825 وصلا إلى تونس مارين بالمدية وقسنطينة، هناك انضما إلى قافلة تضم ألفي حاج، ركبوا جميعا البحر إلى الإسكندرية.[4]

أتاحت هذه الرحلة للأمير عبد القادر فرصة الإطلاع على أنظمة الحكم في الأقطار المشرقية وأوضاعها في مختلف الميادين ومشاهدة ما تعانيه الشعوب الإسلامية من تخلف كما زادته شغف بالعلم فاعتزل لتحصيله فكان لا يفارق كتبه إلا إذا خرج للصلاة أو لتناول الطعام، فقرأ خلال تلك الفترة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث والفلسفة والفلك والجغرافيا والتاريخ، والرياضيات والطب، فتكونت لديه أثناء هذه الفترة مكتبة ضخمة كانت بمثابة ثروته الدنيوية.[5]

بعد احتلال فرنسا الجزائر قام محي الدين بإرسال أولاده مع حامية قوية للتجول في السهل وحماية المتشردين والمنكوبين، وتقديم الدعم لهم، وهب الأمير عبد القادر هو الآخر للجهاد

---

[1] – هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، د.م.ج، الجزائر، 2004 ص ص 61–62.

[2] – بسام العسلي: **الأمير عبد القادر الجزائري(1222–1300هـ/ 1807–1883م)**، دار النفائس، ط1، بيروت 1980، ص 20.

[3] – هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، المصدر السابق، ص 65.

[4] – بسام العسلي: المرجع السابق، ص 22.

[5] – نفسه، ص 25.

وخاض إلى جانب أبيه معارك عديدة أبرز فيها قوته وعبقريته ، إذ رشح للقيادة وعمره لا يتجاوز 25 سنة، إذ تمت بيعته وفق ما كانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين، حيث اجتمع علماء المنطقة وزعمائها وخيموا تحت شجرة الدردارة، جلس الأمير عبد القادر تحت الشجرة وقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية. وفي 13 رمضان 1248هـ/4 فيفري 1833م، حصلت البيعة الثانية للأمير عبد القادر في ساحة مسجد معسكر، وهي تدعو الجميع للتأييد التام والطاعة المطلقة لتأمين العدالة واستتاب الأمن ومقاومة الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر.[1]

اتخذ الأمير عبد القادر معسكر عاصمة له، ودعا مختلف قبائل المنطقة إلى توحيد الصفوف من أجل الوقوف في وجه العدو، وعين الميلود بن عراش[2] وزيرا للخارجية من أجل إيجاد حلفاء له في الخارج، غرضها الاعتراف بدولته، وتوثيق صلته بالدول المجاورة خاصة سلطان المغرب الأقصى. ثم مضى إلى بناء الدولة الحديثة، ورفع راية الجهاد في سبيل الله خلال تلك المرحلة التاريخية.[3]

بعد إتمام البيعة كاتب الأمير عبد القادر سلطان المغرب بغرض إجازة بيعته، وكانت الخطب تذكر باسمه وكان الأمير يعترف في كل مناسبة بأنه خليفة للسلطان وهذا ما تؤكده الرسالة

---

[1] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر(1808– 1847)**، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1983 ج1 ص 88.

[2] – ولد ببني شقران (وهران)، عينه الأمير آغا الشرق(أم عسكر) تحت خلافة ابن التهامي وكان ذا خصال متميزة بالحذق والمهارة جعلته ينال حظوة كبيرة لدى الأمير الذي أسند إليه مهام الشؤون الخارجية، فأشرف على إبرام معاهدة ديميشال والتافنة وحمل الهدايا إلى ملك فرنسا لويس فيليب، كما أن تعاطيه التجارة سمح له بربط علاقة وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود وفرنسيين جلبت إليه الشكوك والاتهامات بإثراء مصالحه الخاصة. أنظر، محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، عني به داوود بخاري ورابح قادري، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ج1، ص 195.

[3] – نفسه، ص 195 وما يليها.

التي بعثها إليه والتي تتضمن ما يلي:"**خديم حضرتكم، الباذل جهده في مرضاة الله ورسوله ثم مرضاتكم، المتوكل في كل أموره على الله وعليكم، الموضوع اسمه بالخاتم...**"[1].

ب) التعريف بسلطان المغرب المولى عبد الرحمان بن هشام:

من مواليد 1204هـ/ 1790م، منذ نشأته عرف بالتقوى والعفاف، جميل الأوصاف أحبه الناس، اهتم بنشأته عمه السلطان سليمان ورفع منزلته.[2]

اتصف بمكارم الأخلاق، محب للخير، وملجأ للضعفاء والمساكين، وسيف الله على المعتدين، عرف بتواضعه وورعه، وعدله وأنه إمام الحق، تميز بالشجاعة وكان ذو صلابة في الدين، ولاه عمه أبو الربيع سليمان أمانة ثغر الصويرة وعمالتها، ثم نقله للخلافة عنه بفاس عام 1237هـ/ 1821م، فأحسن السيرة وقام بأموره أحسن قيام، ثم وجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج، تولى العرش بموجب وصية عمه المولى سليمان بالخلافة بعد وفاته، كانت بيعته بفاس في 15 ربيع الأول 1238هـ بويع له بالعاصمة المكناسية سنة 1822م، اهتم بأمور الرعية وأحسن فيها، ولما فرغ من الترتيبات الداخلية خرج من فاس ليتفقد الأحوال، رحل إلى الرباط، ثم عاد إلى فاس وخرج إلى العاصمة المكناسية، واتخذ الجيش من خمسة قبائل، واهتم بكسوتهم وراتبهم.[3]

لقد عرف المغرب في عهده تطورا كبيرا في المجال السياسي والاقتصادي، حيث تمكن من تحقيق الكثير من الانجازات واهتم بالعلم والعلماء، أما الدولة العثمانية كانت تعاني في ذلك الوقت من أزمات ومشاكل بسبب الضعف الذي آلت إليه، وظهور الحركات الانفصالية في هذه المرحلة من المسألة الشرقية، اصطدمت أوربا من جديد ببلاد المغرب وبدأت الأطماع

---

[1] – (أنظر الملحق رقم 01، ص 116.)

[2] – الناصري: **الاستقصا**،ج9، المصدر السابق، ص 3.

[3] – عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2008، ص 7 وما يليها.

في شمال إفريقيا حيث نجد بريطانيا تتمسك بجبل طارق منذ 1704 محاولة إقصاء غريمتها فرنسا من المنطقة، وفرنسا تسعى إلى قطع الطريق التجاري أمامها المؤدي نحو الشرق.[1]

استطاع المولى عبد الرحمان أن يواجه المشاكل على العكس ما حدث في عهد المولى سليمان، ويقف في وجه الهزائم التي كانت في فترة هذا الأخير، لكنه واجه عدة مشاكل بعد دعمه للأمير عبد القادر، وما لحقه من المتاعب والصراع مع الحكومة الفرنسية جراء هذا الدعم ليتلقى هزيمة كبرى وعظيمة سنة 1844[2]، ألا وهي واقعة إيسلي*.

من أسباب تنامي العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام ما يلي:

- أن كليهما ينتميان إلى النسب الشريف من الأسرة الهاشمية وجدهم الأكبر هو إدريس الأكبر الذي بويع وعمره لا يتعدى 11 سنة(213هـ/ 818م)، من مؤسسي الأسرة العلوية في المغرب الأقصى، له الفضل الكبير في إرساء دعائم المملكة المغربية ينحدر من النسب الشريف، مؤسس مدينة فاس، ومن نسله جاء مصطفى بن المختار الحسني جد الأمير عبد القادر.[3]
- الارتباط الصوفي بحيث أن الأمير عبد القادر ينتمي إلى الطريقة الصوفية القادرية والتي تتفرع من المغرب الشرقي خاصة فاس، كذلك تأثره بعلماء وفقهاء المغرب كالعلامة أبي حفص عمر الفاسي والمسناوي وغيرهم.
- وجود عدد كبير من العلماء والفقهاء بالمغرب، اهتم بهم السلطان عبد الرحمان كثيرا.
- هجرة العديد من الجزائريين بعد الغزو الفرنسي للسواحل الجزائرية، حيث استقبلهم السلطان عبد الرحمان بن هشام استقبالا جيدا وأعطاهم حقوق كحقوق المغاربة

---

[1] – جون. وولف: **الجزائر وأوروبا (1500– 1830)**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، م، و، ك، الجزائر، 1986، ص 449.

[2] – بسام العسلي: **الأمير عبد القادر الجزائري**، المرجع السابق، ص 146 وما يليها.

* نهر مشترك بين الجزائر والمغرب، يرفده نهر تافنة من يساره. أنظر، بسام العسلي: المرجع السابق، ص 147.

[3] – نور الدين بلعربي: المرجع السابق ص 44.

ومنحهم كل ما يحتاجون من ألبسة ومسكن ومؤن، ومنحهم وظائف في مجالات مختلفة، واعتبرهم مثل أبناء شعبه.[1]

- وجود روابط عائلية بين مختلف القبائل المغربية الجزائرية على الحدود في الغرب الجزائري، والشرق المغربي إضافة إلى الروابط الدينية واللغوية والتاريخية والمصير المشترك.[2]
- الدور الذي لعبه محي الدين والد الأمير عبد القادر في تنمية هذه العلاقة منذ الوهلة الأولى، إذ أنه عرض على أعيان المنطقة الغربية التوجه إلى سلطان المغرب باعتباره السلطان المناسب والقوي والمتعاطف مع القضية الجزائرية[3].
- حاجة الأمير عبد القادر إلى دعم حليف قوي، باعتبار أن فرنسا دولة قوية تمتلك أسلحة متطورة وحديثة.
- التماس الدعم المادي والسياسي من السلطان عبد الرحمان لفائدة المقاومة الجزائرية والحاجة إلى الانفتاح على العالم والتبادلات التجارية من أجل ضمان نمو البلاد التي تمتد من جميع مقاطعات بلاد الجزائر غربا إلى حدود المغرب الأقصى ما عدا مدينتي وهران ومستغانم، ثم تمتد شرقا إلى ما وراء بلاد مجانة ما عدا مقاطعة العاصمة ومدينة قسنطينة وبعض الساحل، وفي الشمال ما وراء جبال زواوة، وفي الجنوب إلى حدود أرض التوارك، ومصدر تموين بالسلاح والذخيرة[4].

---

[1] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 38.

[2] – مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ج3، ص 19.

[3] – الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 95.

[4] – محمد الشريف سحلي: **الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية**، تع حبيب شنيني، دار القصبة للنشر الجزائر، 2003، ص 135.

- الاحترام الكبير الذي كان يكنه الأمير عبد القادر للسلطان عبد الرحمان والتقدير العظيم وكان يعتبره بمثابة والده أو أخ أكبر منه بدلا من اعتباره مجرد ولاء سياسي له[1]. وكان الأمير يدرك جيدا أهمية هذه العلاقة.
- كان الأمير عبد القادر يريد إقحام السلطان المغربي للمشاركة في الحرب وبكل قواته من أجل تشتيت قوات فرنسا وتجد نفسها مقحمة في مواجهة قوتين من جهة الجزائر ومن جهة أخرى المغرب.
- كان الأمير يريد أن يتخذ من الأراضي المغربية ملجأ لتدريب الجيش، والفرار من العدو الفرنسي إذا كثرت عليه مضايقاته.

هذا من جهة الأمير أما من جهة السلطان عبد الرحمان، فإن أهم الأسباب التي دفعته إلى توطيد العلاقة بينه وبين الأمير عبد القادر هي:

- صفته أمير المؤمنين، ومن منطلق التضامن الإسلامي ومن واجبه حماية دار الإسلام والمسلمين[2]، ومساندة الأمير عبد القادر بحكم أنه مقاوم ومجاهد في سبيل الله بغض النظر على أنه خليفة السلطان.
- السعي إلى تحقيق أطماع توسعية في الجزائر، خاصة بعد سقوط الجزائر في يد الفرنسيين، وإلحاق بعض الأجزاء المغربية من الجزائر بالمغرب الأقصى.
- وجود عدو مشترك بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان، لأن الاستعمار الفرنسي بما أنه احتل الجزائر، أكيد سيتطلع إلى المغرب كما اعتبرته فرنسا لاحقا كتكملة لاحتلالها الجزائر وتونس.
- الجهد العظيم الذي لعبه الأمير عبد القادر في تأمين المسالك للتجار، والحجاج كذلك عمله على تحقيق الأمن والاستقرار في الغرب الجزائري، وفي القسم الشرقي من المغرب لخدمة مصالح المغرب الأقصى، خاصة أن المغرب كان يعاني من الفوضى

[1] - ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر**، المرجع السابق، ص 224.

[2] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص 54.

انعدام الأمن، ودليل ذلك ما نضمه الأمير عبد القادر من حملات متعددة لإخضاع القبائل المتمردة على السلطان، حيث أخضعها وأعادها تحت سلطة الملك وطاعته[1]، وتورطه في معارك طويلة لإثبات ولائه للسلطان[2].

- اتخاذ الأمير عبد القادر كدرع واق لبلاده من الجهة الشرقية، ومن ثم عرقلة التوسع الاستعماري على حسابه.

2- أشكال الدعم المغربي للأمير عبد القادر:

بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830، تعاطفت معها العديد من الدول ومنها المغرب الأقصى الذي لعب سلطانه عبد الرحمان بن هشام دورا كبيرا في دعم الشعب الجزائري من أجل الجهاد والمقاومة لطرد العدو الفرنسي من أراضيه، إذ عرفت مرحلة ما بين (1830-1844) دعما قويا من طرف السلطان عبد الرحمان، والشعب المغربي الذي أبدى دعمه منذ الوهلة الأولى، ويمكن إبراز هذا الدعم في نوعين من المساندة:

أ/ الدّعم المادي:

بدأ الدعم المغربي الرسمي للقضية الجزائرية منذ أن استنجد أهالي تلمسان بالسلطان عبد الرحمان، الذي قام بإرسال ابن عمه مولاي علي لنجدة أهالي تلمسان، أوصاه بالجهاد ومقاومة العدو، ومعاملة الناس معاملة حسنة، إذ وجه السلطان الجيوش والمؤن والخيل والمدافع والأعلام إلى مدينة تلمسان، قام بتوجيه عدة رسائل لابن عمه يوصيه بالسير وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، حيث أرسل في 06 جانفي 1831 ، 200 فارس من جيش البخاري برئاسة أحد القادة وجنود من العرب والبربر، وكمية من سلاح المدفعية ، و140

[1] – يحي بوعزيز: **بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري**، د.م.ج، 1965، ص 46.

[2] – محمد الشريف سحلي: المرجع السابق، ص 165.

رجل من الصويرة، 140 من جيش عبيد البخاري من مراكش، وأكثر من 100 فارس من جبالة والريف وكلهم في غاية التزويد[1].

– معاملة السلطان الحسنة للمهاجرين الجزائريين الذين فروا من ظلم واضطهاد الفرنسيين واعتبر ذلك من ميزات الإنسان المسلم وأن الدين الإسلامي يحث على جمع المسلمين ولم شملهم، وخصص السلطان عبد الرحمان للشرفاء من الجزائريين صلات قدرها 500 مد فاسي من القمح و 500 مثقال[2]، زيادة على صلاته لهم في الأعياد والمناسبات[3].

– السماح للمغاربة بجمع ما أمكن من المساعدات المختلفة كالحبوب والأسلحة، كذلك الخيول من مختلف أنحاء المغرب وإرسالها إلى المجاهدين في الجزائر، وتأمين القوافل المحملة بالسلاح والذخيرة الحربية والحبوب القادمة من مضيق جبل طارق، والموجهة إلى الجزائر عبر طنجة مرورا بفاس ووجدة[4].

– تحريض القبائل المتاخمة للحدود الجزائرية ودعوتها إلى الجهاد إلى جانب قوات الأمير عبد القادر، وامتناعه عن استخدام القوة ضد هذه القبائل لصدها عن الجهاد إلى جانب قوات الأمير، رغم ضغوط الفرنسيين بدعوى انعدام الأمن وصعوبة التحكم فيها[5].

– أرسل السلطان عبد الرحمان للأمير عبد القادر سنة 1833، 100 بندقية ومثلها من السيوف، وكميات من الذخيرة وتلقت في سنة 1841 شحنة أسلحة من المغرب [6] قدرت بألف بندقية وبعض الحمولات من البارود، والأسلحة وبعض الأسلحة التي اشتراها الأمير

---

[1] – إسماعيل حامت: **الحكومة المغربية واحتلال الجزائر**، تق علي تابليت، تر وتص زكي مبارك ومحمد لخواجة منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2011، ص 37 وما يليها.

[2] – محمد أمطاط: المرجع السابق، ص ص 44– 45.

[3] – نفسه، ص 54 وما يليها.

[4] – نور الدين بلعربيي: المرجع السابق ص 53.

[5] – نفسه، ص 53.

[6]– الكولونيل سكوت: **مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر1841**، تر وتع إسماعيل العربي ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص 70.

عبد القادر من المغرب التي كانت تأتي من جبل طارق وتمر عبر الحدود بمساعدة السلطان[1].

– لقد قدم السلطان عبد الرحمان للأمير مساعدات في أواخر 1833 تمثلت في عدد من الخيول والأموال، وأنواع من الأسلحة الخفيفة والثقيلة والذخيرة الحربية بواسطة الحاج طالب بن جلون الفاسي[2]، وأمده في نفس السنة ب 100 بندقية و100 سيف، وكميات من الذخيرة[3].

– أرسل السلطان عبد الرحمان في سنة 1834 إلى مدينة معسكر 100 بندقية عربية وألف رطل من البارود، وأرسل سنة 1837 أقمشة حريرية وبعض الأسلحة، وفي 28 أكتوبر1838 تم تزويده عن طريق الحاج الطاهر المكلف بإدارة الأعمال التجارية وشراء الأسلحة، ب 400 بندقية انجليزية بمحاربها، و200 مسدس، 300 سيف حجر النار وبعد مرور ثلاثة أسابيع وصلت دفعة جديدة من المغرب تحتوي على 4 مدافع من طرف الحاج الطالب بن جلون، أرسل إلى وهران في نفس السنة حوالي 6 آلاف رطلا من النحاس الجيد و حمولة 70 جملا من الفحم الطبيعي، وقافلة تحتوي على ألبسة للجنود وأحجار النار والفشك "الخرطوش"، و 600 سيف من فاس و400 أو 500 بشطولة[4] وقام طالب بن جلون كان في تلك الفترة وسيط في جبل طارق بإرسال 400 بارودة انجليزية، و 20 حمولة من البارود، 30 حمولة من الألبسة و 20 حمولة من الكبريت و 15 حمولة من ملح البارود.

---

[1] – إسماعيل العربي: **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص 267.

[2] –هو ابن رئيس الوزراء المغربي، كانت مهامه على الصعيد التجاري و كيلا تجاريا بمدينة فاس قائما بأعمال الأمير عبد القادر.

[3] – عبد القادر سلاماني: **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة(1832–1847)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008، ص 30.

[4] – نفسه، ص 31.

– أرسل أيضا مدافع موجهة إلى تلمسان، وتم شراء 1500 أو 2000 بندقية وكمية كبيرة من المسدسات وبعض قطع المدافع، ووصلت أيضا السيوف والخناجر وأخشاب البنادق[1].

– لقد وصلت في سنة 1841 شحنة من المغرب تحتوي على حوالي ألف بندقية، وعدة أطنان من البارود، وفي 1 سبتمبر من نفس السنة وصلت قافلة من فاس تتكون من 60 بغلا مثقلة بالأقمشة وبمائة برميل من البارود[2].

– تكوين مجلس للفتوى من الفقهاء لدعم حركة الجهاد في الجزائر، والتشاور حول قضايا المارقين وكيفية معاقبتهم، وبذلك إعطاء شرعية لسلطة الأمير في مقارعة الكفاح ومحاربة المرتدين الذين شايعوا الكفر والنّفاق، وجعل الأراضي المغربية ملاذا[3] آمنا لدائرة الأمير عبد القادر يلجأ فيها الفارين من الجيش الاستعماري، واتخاذها كقاعدة خلفية للحركة الجهادية التي كان يقودها الأمير عبد القادر[4].

– نجاح الأمير عبد القادر في الاستيلاء على تلمسان سنة 1834، أثار حماس البلاط المغربي وسكان المغرب، وقام السلطان بمد الأمير بالقمح والشعير والأسلحة والذخيرة والكثير من الأموال[5].

– كان الأمير يجول الأراضي المغربية دون عناء وكأنه في بلده، وهذا كله من حسن السلطان. وكان لهذا الأخير دين على الأمير عبد القادر ولم يطالبه به بالرغم من معرفته أن خزينة هذا الأخير مكتظة بالأموال خاصة بعد عقد معاهدة ديميشال.

---

[1] – عبد القادر سلاماني: المرجع السابق، ص ص 31–32.

[2] – سكوت: **مذكرات**، المصدر السابق، ص149.

[3] – (أنظر الملحق رقم 02، ص 117.)

[4] – هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، المصدر السابق، ص 286.

[5] – بوعلام بسايح: **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي– بالسيف والقلم(1830–1954)**، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 20.

ب/ الدّعم المعنوي:

تمثل الدعم المعنوي في تلك النصائح والتوجيهات التي يراها السلطان صالحة للجهاد ونصرة المقاومين، والتي كانت في جلها عبارة عن رسائل موجهة للأمير، كان السلطان يخاطب الأمير بالولد البار في قوله: "**محل الولد البار لأحظى، المجاهد لأرضى، السيد عبد القادر بن محي الدين أمدك الله بالعون واليقين ونظمنا جميعا في سلك عباد الله المتقين وسلام الله الأتم ورضوانه الشامل الأعم، يتولى لديك في المواقف، ويخصك بتواتر الأمداد الربانية والعوارف، ورحمة الله تعالى وبركاته تتلى و تتوالى...**"[1].

الدور الذي لعبه العلماء المغاربة بالمساهمة في تدعيمه معنويا من خلال أجوبتهم على كل استشاراته التي قاموا بها بأمر من السلطان[2].

3- الموقف الفرنسي من الدعم المغربي للأمير عبد القادر:

بعد أن وصلت أخبار الدعم المغربي للأمير عبد القادر إلى السلطات الفرنسية، بادرت وبكل وسائلها للقضاء على هذا الدعم سواء عن طريق استخدام الطرق الدبلوماسية، أو استعمال أسلوب التهديدات كما فعلت مع السلطان عبد الرحمان، واللجوء في بعض الأحيان إلى استخدام القوة العسكرية، إذ كان همها الوحيد هو قطع الإمدادات المغربية وإضعاف مقاومة الأمير عبد القادر وجعل الجزائر تابعة كليا لها.

لقد كان لموقف سلطان المغرب صدى كبيرا لدى الأوساط السياسية بفرنسا إذ بدأ تدخلها مباشرة بعد إرسال السلطان عبد الرحمان ابن عمه مولاي علي استجابة لسكان تلمسان، حتى أن هذا التدخل لم يكن من الحكومة الفرنسية في حد ذاتها وإنما من نائب قنصل فرنسا في

---

[1] – عبد الرحمان ابن زيدان: ج5، المصدر السابق، ص 82.

[2] – أنظر بعض الرسائل التي وجهها الأمير عبد القادر إلى علماء فاس وأجابوه عنها. الناصري: **الاستقصا**، ج9 المصدر السابق، ص 45 وما يليها.

طنجة "دولابورت"، أما الرد الثاني صدر عن الجنرال كلوزيل[1] قائد قوات الاحتلال الذي انفجر غضبه حين سماعه خبر تلمسان، مع أنه لا يتمتع بأي سلطة سياسية تخول له بذلك وقام بالاتصال بنائب قنصل فرنسا في 30 نوفمبر 1830 كلفه بإرسال رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى المولى عبد الرحمان بن هشام باسم الحكومة الفرنسية[2].

ثم أرسلوا إنذارا آخر في 31 جانفي 1831 تمثل في رسالة، بعثت مع كبار ضباط القيادة العليا في الجزائر "أوفراي" ليسحب المولى عبد الرحمان قواته مع تسليم ابن عمه علي ويقوم بتقديم تعويضات الخسائر التي تكبدتها وهران، وهذا ما يدل على إستراتيجية فرنسا العنيفة في خلق مشاكل منذ البوادر الأولى للدعم المغربي للأمير عبد القادر.

استغلت فرنسا ما قام به مولاي علي في تلمسان، من سياسة البطش والتعسف، وفرض الضرائب، وانتهاك أموال الأهالي، وتدخلت بحجة أن الجزائر واقعة تحت الاحتلال الفرنسي واعتبار هذا العمل مساسا بمصالحها وبحدود الدولة الجزائرية.

أرسلت فرنسا سنة 1831 سفينتين حربيتين إلى ميناء طنجة بصدد التهديد، والضغط على السلطان عبد الرحمان الذي كان رده أن العرب من قسنطينة وبلاد الجرير حتى تلمسان بايعوه سلطانا عليهم وبطريقة شرعية[3]. مذكرة إياها بتهديد 31 جانفي 1831.

أرسل الملك الفرنسي لوي فيليب[4] سفيرا إلى المغرب الأقصى " الكونت دومورلي"، إذ أوصى وزير الخارجية مندوب الملك باستعمال أسلوب ولهجة معتدلة لكن بصرامة حتى يؤثر في

---

[1] – الجنرال كلوزيل : ولد في سنة 1772 بمدينة أرياج الفرنسية، تولى عدة مناصب في السفارات الفرنسية كملحق عسكري، وفي 7 أوت 1830 عين على رأس القوات الفرنسية في الجزائر (1835–1838)، توفي في 21 أفريل 1842. أنظر، أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري**، ج1، المرجع السابق، ص 212.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 7.

[3] – نفسه، ص 10.

[4] – لقد دام حكم لويس فيليب الذي كان مريضا بالمظاهر 18 سنة، والذي قال في حقه بيسمارك كلمته الشهيرة" من بعيد شيء ومن قريب لا شيء"، إلا أن قضي على الملكية في الثورة الثالثة عام 1848، ثم أقيمت الجمهورية الثانية فذهب لويس وعائلته إلى بريطانيا التي توفي فيها بعد سنة، وقد بلغ من العمر 77 سنة. أنظر، عبد الكريم الفيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، شركة ناس للطباعة، ط1، القاهرة، 2006، ج5، ص 58.

السلطان عبد الرحمان، وفي 22 مارس 1831 استقبل المولى عبد الرحمان الكونت دومورلي يحمل في طياته رسالته نفس المطالب الأولى، ويوصيه بعدم التدخل في الجزائر مستقبلا[1].

قام السلطان عبد الرحمان مضطرا تحت تهديدات الحكومة الفرنسية إلى سحب قواته من تلمسان[2]، وهذا ما جعل فرنسا تخطط أكثر من أجل منع أية علاقة دعم تربط بين سلطان المغرب والأمير عبد القادر.

تأكدت فرنسا أن الضغط الدبلوماسي على السلطان أبدى نتيجة، وأن السلطان لو كان في أوج قوته لما سحب قواته من تلمسان.

في أواخر سنة 1832 أرسل السلطان عبد الرحمان إلى الأمير عبد القادر 100 بندقية وما يماثلها من السيوف، وكميات من الذخيرة، فقام الجنرال ديميشال[3] بتقديم تقرير مفصل عن هذا الحدث إلى وزير الحربية في 10 جانفي 1834 يبرز فيه مدى خطورة هذا الدعم وقامت الحكومة بتوجيه احتجاج شديد اللهجة إلى السلطان يطلب منه احترام ما سبق التعهد عليه[4].

وضع حامية صغيرة لمراقبة الشواطئ في أكتوبر 1835، سعيا لقطع التموين عن الأمير[5].

تعيين جواسيس لترصد أخبار الأمير، وزعزعة العلاقة بينه وبين السلطان عبد الرحمان مثل مصطفى بن إسماعيل[6]، وليون روش[1].

---

[1] – عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق، ص 10.

[2] – نفسه، ص 11.

[3] – ولد في سنة 1779، وتوفي في باريس في 1845، شارك ضد الأمير عبد القادر في معركتين معركة التينة في 30 ماي 1833، ومعركة عين البردية في 11 جوان من نفس السنة، وقع مع الأمير اتفاقية ديميشال في 26 فيفري 1834. أنظر، أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**،ج1، المرجع السابق، ص 91.

[4] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 11.

[5] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 325.

[6] – (1769–1843)، من قبيلة عفان، كان آغا للدواوير والزمالة خلال العهد العثماني، وشارك في حملات الجنرالات بيريقو على الشلف ودارلانج، على تافنة وفي حملات بيجو(1837–1863)، توفي في 23 ماي 1843. أنظر، أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير**، ج1، المرجع السابق، ص 91.

إن القنصل الفرنسي لم يقتنع بتلك الرسائل والتهديدات الموجهة إلى السلطان عبد الرحمان وقام بكتابة رسالة إلى الجنرال "رابتيل" في 17 ماي 1836 مما جاء فيها: "**إن قوة السيف هي أول دبلوماسية يمكن استعمالها مع سكان المناطق الصحراوية**"[2]، وهذا ما يعتبر تهديدا واضحا لسكان منطقة المغرب الشرقي خاصة الأنجاد والمهاية وبني سناسن وأهل وجدة.

وفي رسالة كتبها "دارالانج"[3] إلى القائد العام بتاريخ 27 أفريل 1836 حول مسألة التضامن المغربي الجزائري جاء فيها: " **إن جيش فرنسا لا يحارب الجزائريين وحدهم وإنما يحارب مملكة المغرب**".

حاولت السلطات الفرنسية تسميم العلاقات الجزائرية المغربية من خلال الإشاعات المتداولة ففي 16 أكتوبر 1833 أبلغ القنصل الفرنسي ميشان بيار الذي ولد بمدينة ليون سنة 1744 بأن السلطان أصدر أوامر مشددة إلى عمال المدن والأقاليم المجاورة للحدود الجزائرية بأن يفتشوا كل القوافل المتوجهة إلى الجزائر ويصادروا كل ما يجدونه من أسلحة وذخائر، كما أمر السلطان محمد أشعاع عامل تطوان بأن لا يسمح في مدينته ومراسيها بنزول الأسلحة والذخيرة الموجهة إلى تلمسان[4].

---

[1] - ولد ليون روش في مدينة غرونوبل في 26 جوان 1809، وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901، نال شهادة الباكولوريا سنة 1823، عين سنة 1833 ملازم في فرقة الفرسان الخيالة، عين سنة 1835 مترجم رئيس محلف في الجيش الإفريقي من طرف الماريشال كلوزيل، وأخذه معه في حملته على المدية سنة 1836، التحق بجيش الأمير عبد القادر في نوفمبر 1837 بغرض التجسس على الأمير. أنظر، يوسف مناصرية: **مهمة ليون روش في الجزائر_والمغرب (1832-1847)**، م.و.ك، الجزائر، 1990، ص 13 وما يليها.

[2] - جلال يحي و آخرون: **مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص 72.**

[3] – التحق بالقوات الملكية والإمبراطورية، ليترقى إلى رتبة عقيد سنة 1823 ومنح رتبة جنرال سنة 1834 ليعين بعدها قائد لولاية وهران بدلا من الجنرال تريزيل المنهزم بمعركة المقطع توفي سنة 1848. أنظر، عبد القادر زاير: **دور_خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية(1832-1847)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009، ص 57.

[4] – ياسين إبراهيم: **موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 190.

وما نستنتجه هنا أن فرنسا كانت مصرة على عرقلة نشاط الأمير وحركته الجهادية، وزرع البلبلة والشك بين الأوساط المغربية والأمير عبد القادر، خاصة أنها تأكدت بأن هناك قوافل تجارية تنقل بين تلمسان والمغرب الشرقي، وعليه اتخذت فرنسا موقف صارم اتجاه المغرب.

استعملت فرنسا الأسلوب الدبلوماسي لسببين هما:

- تجنب إثارة الرأي العام المغربي وعليه تجنب فتح جبهة عسكرية هي عاجزة عن مقاومتها في ظل انشغالها بالوضع في الجزائر.
- محاولة كسب المغرب إلى جانبها أو على الأقل ضمان حياده عن ما يحدث في الجزائر، وعليه ضاعفت من نشاط قنصلها بطنجة في رفع تقاريرهم وشكاويهم إلى البلاط المغربي.

وممّا يتضح أن السلطان عبد الرحمان عندما كانت تراسله فرنسا وتطالبه بوقف دعم الأمير يرد عليها بإجابات مثل: أن هذه الإمدادات ليست إلا ردا على هدايا الأمير، وأنها غير صالحة.

ويقول وزير الخارجية آنذاك:"**ومن المغرب تمكن الأمير من أن يحصل على قوات جديدة وجنود وإمدادات حربية، وبهذه المعونة من حكومة المغرب...تمكن الأمير من أن يظهر مرة ثانية مسلحا أمام قواتنا وأن يعيد إشعال الثورة التي كانت قد خمدت**"[1].

وجد السلطان نفسه مجبرا على اتخاذ موقف من هذه التهديدات التي أصبحت تشكل خطرا واضحا على المملكة من بينها:

- التزام الحياد الذي تعهد به في سنة 1832، وأن يوقف الدعم المادي والبشري والعسكري للأمير.
- أن يرغم رعاياه على التوقف عن الانضمام لحركة الأمير الجهادية وعن مساعدته، وأن يعترف بسلطة فرنسا على الجزائر.

[1] – جلال يحي و آخرون: المرجع السابق، ص ص 76– 77.

– أن يمنع الجزائريين من اللجوء إلى المغرب الشرقي ويتوقف عن مساعدتهم.

لقد انطلق دولاري[1] من باريس يوم 10 جوان 1836 حاملا معه هدية ثمينة للسلطان عبد الرحمان من أجل مناقشة قضية التضامن الجزائري، وبرفقته المترجم ديلابورت ووصلا إلى طنجة يوم 5 جويلية 1836، واستقبلا في مكناس يوم 30 جويلية 1836 من طرف السلطان عبد الرحمان الذي أسند مهمة التفاوض إلى وزيره سيدي محمد الطيب البياسي وانتهت هذه المفاوضات بتوقيع الطرفين على محضر الجلسات التي عقداها، ثم رحلا ووصلا إلى طولون يوم 4 سبتمبر بحوزتهما وثيقتان رئيسيتان، الأولى تمثل جواب السلطان عن رسالة الملك الفرنسي، والثانية تضمنت جوابه عن المطالب الفرنسية.

جاء نص الوثيقة الأولى والمؤرخة في 6 أوت 1836، الموافق ل 22 ربيع الثاني 1252هـ ما يلي:"...**أمّا بعد فقد ورد على حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما تضمنه خطابك وما ذكرتم من وقوفكم واعتمادكم على ما بيننا وبينكم من المودة والمصالح والمهادنة...فنحن إن شاء الله كذلك وأزيد...وما ذكرتم من أنكم لاتيتم كثيرا من إيالتنا...وما بلغكم من ذلك كله معضى كذب...والذي بلغكم عنهم ذلك أعراب زبنطوط تائهون في الصحراء...ولم تنلهم أحكامنا**"[2].

وما نستنتجه هنا أن السلطان ينفي نهائيا دعمه للأمير، وأكد على صلات الحب والمودة بينه وبين فرنسا، وتكذيب مشاركة المغاربة في المعارك إلى جانب الأمير، واعتبار تلك القبائل التي ساندت الأمير قبائل خرجت عن طاعته.

---

[1] – دولاري: (1795–1872)، كان برتبة ملازم سنة 1814 ورئيس الحرس الملكي، التحق بالسفارة الفرنسية باسطنبول في شهر مارس 1815 ثم رئيس الحرس الملكي ببلجيكا في العام نفسه ترقى إلى رتبة نقيب عسكري قبطان سنة 1816 وأرسل عام 1834 إلى روسيا في بعثة إلى الأقاليم الجنوبية، وفي سنة 1836 رقي إلى ملازم أول وعقيد في سنة 1839 رقي إلى عقيد سنة 1844 مارشال ميدان، وفي 1845 حاكم قسنطينة، كلف بالبعثة لتحديد الحدود وأحيل إلى التقاعد ونفي عقب ثورة 1860، توفي في 21 مارس 1872. أنظر، محمد السعيد القاصري: **العلاقات_الجزائرية المغربية (1830–1847)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001، ص 150.

[2] – جلول المكي: المرجع السابق، ص 241.

أما نص الوثيقة الثانية تضمنت ما يلي:

- تعهد السلطان بالامتناع عن تقديم أي مساعدة لعبد القادر بالسلاح والرجال والمال والخيل.
- إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين يأتون من الجزائر.
- نفي رغبة أو أطماع السلطان في الغرب الجزائري.
- دعوة فرنسا إلى تكثيف الحراسة على الحدود الجزائرية المغربية.
- تأكيدا لضعفه أمام قبائل الحدود وترك الحرية لفرنسا في معاقبة قبائل رعيته الذين قدموا مساعداتهم للجزائريين[1].

من الملاحظ هنا أن السلطان عبد الرحمان اخترق كل هذه التعهدات، وما جاء في الوثيقتين لأنه كان يدعم الأمير حتى بعد هذه الاتفاقيات كذلك اتخاذه لمواقف تكون أحيانا غامضة اتجاه فرنسا وتكون أجوبته غير مباشرة أو غير واضح.

المبحث الثاني: معاهدتي ديميشال 1834 والتافنة 1837 وأثرهما على العلاقات الجزائرية المغربية

1- معاهدة ديميشال 1834 وأثرها على العلاقات الجزائرية المغربية:

لقد استمرت حركة الأمير عبد القادر الدفاعية في كامل أنحاء الجهة الغربية من الجزائر حيث حاصر قوات العدو في العديد من النواحي[2]، ولما قام ديميشال بالهجوم على قبائل الدوائر والزمالة، وجرت معركة بين الأمير عبد القادر والقوات الفرنسية بقيادة ديميشال كان النصر حليف الأمير عبد القادر، وتغيير مكان تلك القبائل إلى سهل وراء تلمسان من أجل إبعادهم عن خطر العدو والذي صار يهددهم في كل لحظة بحكم قربهم منها[3].

---

[1] – جلول المكي: المرجع السابق، ص 241-142.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 305.

[3] – إدريس خضير: **البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962**، ج1، المرجع السابق، ص 58.

لما قوي سلطان الأمير عبد القادر تخوف الجنرال ديميشال كثيرا، هذا ما جعله يبادر إلى مفاتحة الأمير برسالة بتاريخ 17 جمادى الأول 1249هـ/1سبتمبر 1833 يرغب فيها بإخلاء الأسرى الذين قبض عليهم في محادثة وقعت في أرزيو، وقد دارت بينهما مراسلات تتضمن عقد معاهدة صداقة لكنهما في الواقع خدعة من فرنسا تهدف من خلالها إلى كسب المزيد من الوقت، لكن هذا لم يخف على الأمير بدليل أنه كتب برسالة إلى السلطان عبد الرحمان يقول فيها:"...**ولما رأى الكافر من تلك القوة والحدة احتال في حل عزائمنا بطلب الصلح مدة، فأجبناه لذلك على شروط علو الإسلام فيها ظاهر مضبوط فتحملها لظنه أن الصلح يحل من المسلمين العزائم ويميلون إلى ترك الجهاد والراحة على الدائم...**"[1].

لما وصلت رسائل ديميشال إلى الأمير عبد القادر فرح لأن عدوه وقف وقفة المستغيث ولم يرد على ديميشال إلا بعد القيام بالعديد من المحاولات من هذا الأخير، وفي رسالته الأخيرة قام بالرد عليه وجمع رجال دولته وأعيانه وخلفائه وأخبرهم بالوقائع التي جرت بينه وبين الجنرال ديميشال في شأن أسرى أرزيو أولا، ثم أمر بالهدنة، ولما استشارهم، واطلع على أرائهم رأى أن معظمهم يرغب في الجنوح إلى السلم بحجة أن العدو طلب ذلك فبعث بمكتوب إلى ديميشال يخبره بقبوله الجنوح إلى السلم[2].

تمت المقابلة في 4 فيفري 1834 في مكان قريب من مدينة وهران ، مثل الأمير عبد القادر في هذا المجلس، وزير الخارجية السيد المولود بن عراش، ومعه الآغا خليفة بن محمود ومن الجانب الفرنسي حضر الجنرال ديميشال بنفسه مع أعضاء حكومته وبعد الأخذ والعطاء اتفق الطرفان على إمضاء الاتفاقية التي نصت على ما يلي:

- تعترف فرنسا بإمارة الأمير عبد القادر الشرعية وإقرار السلم بينه وبينها.
- تلتزم فرنسا باحترام الدين الإسلامي وجميع تقاليد المسلمين.
- تبادل الأسرى بين الطرفين.

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 305.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 215.

- حرية التجارة[1].
- إعادة كل فرنسي هارب.
- كل مسيحي مطالب بتقديم جواز السفر أثناء تنقله في البلاد ممهور بختم قنصل الأمير عبد القادر وختم الجنرال ديميشال[2].

ولما اطلع الأمير على نص الاتفاقية ألحق بها بعض التعديلات من بينها:

- إطلاق يد المسلمين في التجارة بجميع أنواع السلاح والذخائر الحربية.
- النظر في شؤون المركز التجاري الموجود في ميناء أرزيو والتصرف فيه تحت رعاية حكومة الأمير مثل ما كانت عليه من قبل وللحكومة الإسلامية الحق في بيع الحنطة والتجارة في جميع أنواع السلع، للبضائع التي تصل ميناء أرزيو، ولا يصدر أي شيء إلى الخارج إلا من هذا الميناء فقط ويرسل إلى وهران ومستغانم البضائع التي تحتاج إليها فقط.
- إعادة المسلمين الفارين إلى حكومة الأمير وليس للفرنسيين سلطة على المسلمين أينما وجدوا، ولا يمنعهم من الرجوع إلى أهلهم متى أرادوا ذلك.

بعد إطلاع الطرفان على شروط المعاهدة قبل ديميشال بشروط الأمير بوضعه خاتمه على الوثيقة، واتفق على تحرير نص المعاهدة باللغة العربية والفرنسية، وبهذا ظن الأمير أنه قد ضمن احتكار التجارة[3].

في 26 فيفري اقترح ديميشال على ابن عراش وضع معاهدة سميت بالمعاهدة المختلطة تحتوي على أهم ما ورد في الوثيقتين السابقتين لكن تنص على الشروط الفرنسية بتفصيل أكثر، ولم يعترض ابن عراش على ذلك ولم يتفطن للحيلة التي يتبعها الجنرال ديميشال التي يراد بها فسخ الشروط التي وضعها الأمير عبد القادر، والملاحظ أن ديميشال عمل على

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، المرجع السابق، ص 306.

[2] – هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 110.

[3] – نفسه، ص 112.

تعديل نص الاتفاقية حسب رغبته، خاصة فيما يتعلق باحتكار التجارة من طرف العرب التي وردت في شروط الأمير في الوثيقة المنفصلة، لكن ابن عراش لم يتفطن لذلك رغم أن عبد القادر كان يملك وثيقة موقعة ومختومة من الجانبين[1].

لقد اعتبر ديميشال هذه المعاهدة انتصارا دبلوماسيا، حيث قام بإرسال بشائر السلام والمباركة إلى الحكومة الفرنسية معبرا عن ذلك بقوله:" **إنني أعلم لكم استسلام إقليم وهران الذي يعتبر أكبر جزء من ولاية الجزائر وأكثرها محاربة، الفضل في الحادي الكبير يعود إلى الميزات التي امتازت بها القوات التي أقودها**"[2].

أما الأمير عبد القادر اعتبرها نصرا له لأنه أرغم عدوه على طلب السلام ووضع الشروط التي يريدها، ولم يلتزم فيها بأية شروط أو قيود لا من ناحية الحدود ولا من ناحية التجارة[3]. وبمقتضى الاحتكار أصدر أوامر تمنع العرب من بيع القمح والشعير، والإنتاج الفلاحي مهما كان نوعه إلى المسيحيين، سواء كانوا من البلاد أو الأجانب ويكون ممثلوه مسئولين عن هذه العملية وعن تحديد الأسعار في الأسواق[4].

أثر المعاهدة على العلاقات الجزائرية المغربية:

لقد اختلفت الآراء حول تطور العلاقة بين السلطان عبد الرحمان والأمير عبد القادر، بعد عقد معاهدة ديميشال، إذ وجد هناك تناقضا بين المؤرخين، يقول الرأي الأول بأن العلاقات توترت بينهما بحكم أن الأمير عبد القادر بعد أن أخذ ميناء أرزيو لم يصبح في حاجة إلى المساعدات التي كانت تصله من المغرب برا، واعتبر السلطان عبد الرحمان معاهدة ديميشال تحالفا مع الكفار[5].

---

[1] – هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 113.

[2] – إدريس خضير: **البحث في تاريخ الجزائر الحديث**، ج1، المرجع السابق، ص 64.

[3] – هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 113.

[4] – نفسه، ص 114.

[5] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 224.

أما الرأي الثاني فيرى العكس بدليل أن الأمير عبد القادر كان قد استشار السلطان عبد الرحمان في ما يخص شروط المعاهدة، وقد وافق على هذا الأمر وقدم السلطان للأمير النصائح والتوجيهات، كما يذكر محمد ابن عبد القادر في كتاب تحفة الزائر، أن السلطان بعث للأمير عبد القادر وفدا لتهنئته، حيث يقول: "**وصل وفد السلطان عبد الرحمان بن هشام صاحب المغرب الأقصى لأداء التهنئة للأمير وبالملك وأصحبهم هدية من نفائس بلاده ومقدار وافر من ذخائر الحرب وأدواته،...وكان نفر من العساكر الفرنساوية فرّ إلى المغرب بعثهم لدى الأمير ليقول رأيه فيهم**"[1].

كما أكد وزير الحربية اعتمادا على التقارير التي جمعها القنصل الفرنسي بطنجة الجنرال فوارول، أن علاقة السلطان وعبد القادر جد طيبة وأنهما على وفاق كبير واتصال مستمر[2].

إن الانتصار الذي سجلته المقاومة الجزائرية في معركة المقطع كان له صدى كبيرا وقويا في المغرب الأقصى، حيث أثبت أن مقاومة الاحتلال الأجنبي ليس بالأمر الصعب، كما أعطت معركة المقطع الفرصة لجيش الأمير بالتموين بالأسلحة من مختلف الجهات إلى جبل طارق، ثم إلى تيطوان بطريق البحر لتنقل على ظهور البغال والجمال بمساعدة السلطات المغربية إلى الغرب الجزائري، كما شاركت بعض العناصر المغربية في القتال مع الأمير في المعركة التي وقعت سنة 1836، والتي قطع فيها خط الرجعة إلى وهران على جيش تريزيل[3] على إثر هذا قامت السلطات الفرنسية ببعث احتجاجات إلى سلطان المغرب واتهمته بتقديم المساعدات العسكرية للأمير[4].

وعليه فإن استمرار علاقات الود بعد معاهدة ديميشال دليل قاطع على صحة الرأي الثاني

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 221.

[2] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 50.

[3] – (1860–1870)، ولد بباريس التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم، وفي سنة 1835 عين قائدا عسكريا بالمقاطعة وهران، وفي جوان 1835 عاد إلى باريس كوزير للحربية في سنة (1837–1848).أنظر، الأمير عبد القادر: **المذكرات** المصدر السابق، ص 78.

[4] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 224.

أما تحالف الأمير عبد القادر مع الكفار فالدين الإسلامي السمح يدعونا إلى الجنوح نحو السلم ما دام الكافر جنح لذلك، وانتصر الدعم المغربي حيث يذكر محمد بن عبد القادر أنه في سنة 1835 وصلت إمدادات عسكرية مغربية حوالي 600 بندقية و 67 فرسا، و 200 سيف وكمية من البارود والذخيرة[1].

2) معاهدة التافنة 1837 وموقف المغرب منها:

بعد الهزائم التي مني بها كلوزيل في معاركه ضد الأمير عبد القادر، قامت الحكومة الفرنسية بعزله وعين مكانه الجنرال "دومرمون"[2]حاكما على الجزائر، والجنرال بيجو[3] على وهران مكان الجنرال دوبروسار[4] وزودت كل منهما بالقوات التي يحتاجها فأرسل الأمير بن دران[5] ليبارك له بالمنصب الجديد، كما طلبت منه التعامل بالعملة التي يريدها الأمير،وبعد إعلام حكومته على هذا الأمر، رفضت بحجة أن معاهدة ديميشال لم تنص على عملية النقود.[6]

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 224.

[2] – دامرمون: ولد سنة 1783 بشومون في باريس، التحق بالجيش الفرنسي برتبة ملازم، وفي سنة 1835 عين قائدا عسكريا بالمقاطعة وهران، وفي جوان 183 عاد إلى باريس كوزير للحربية في سنة (1837–1848)، عين حاكما عاما على الجزائر سنة 1837 بدلا من الجنرال كلوزيل، ليموت بقذيفة مدفع أمام قسنطينة. أنظر، أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري**، ج1، المرجع السابق، ص 312.

[3] – ولد في 15 ديسمبر 1775 بمقاطعة لادوراتني، التحق بالجيش الفرنسي في ماي 1804، حارب في اسبانيا برتبة عميد، وأرسل إلى الجزائر سنة 1836، وحارب الأمير في معركة السكاك من نفس السنة، وانتصر عليه ووقع معاهدة التافنة مع الأمير، عين حاكما عاما للجزائر(1841–1847)، عاد إلى فرنسا ومات بمرض الكوليرا سنة 1849. أنظر أديب حرب: المرجع السابق، ص 312.

[4] – تطوع في الجيش أيام الثورة الفرنسية ليتدرج تحت عالم الإمبراطورية الأول وملكية لويس فيليب، حتى عينه مارشال سنة 1834، وعين قائدا لمقاطعة وهران بدلا من الجنرال لاتون سنة 1837، عاد إلى باريس وتوفي بها سنة 1867. أنظر، أديب حرب: المرجع السابق، ص 312.

[5] – هو من أسرة يهودية جزائرية قديمة عاش في فرنسا، كان ذا مهارة ونفوذ كبيرين في مدينة الجزائر، كان هدفه أن يحقق أرباح مالية من الطرفين المتنازعين، ولقد حاول إقناع الأمير بتموين الجيش الفرنسي مؤكدا مدى الأرباح التي سيتحصل عليها جراء ذلك.أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 79.

[6] – إدريس خضير: **البحث في تاريخ الجزائر الحديث(1830–1962)**، ج1، المرجع السابق، ص ص 108–109. وإسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 126.

خلال هذه الفترة وقعت معارك عديدة بين الأمير والقوات الفرنسية انهزمت فيها هذه الأخيرة فدعا الرأي العام الفرنسي إلى التخلي عن الجزائر، وإيقاف الحرب، غير أن بعض رجال الدولة الطامعين في الثورة فضلوا استمرار الحرب آملين في الاستحواذ على خيراتها كما أن الجنرال بيجو كلف بنقض المعاهدة المعقودة مع الأمير والحاكم السابق لوهران ومواصلة الحرب أو عقد صلح مع الأمير يخدم مصالح فرنسا[1].

كان كلا الطرفان يسعى لتحقيق أهداف من وراء هذا الصلح، أما بالنسبة للقوات الفرنسية وحكومتها فقد كانت تسعى إلى تحقيق ما يلي:

- التفرغ للقضاء على مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري.
- إعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال.
- فك الحصار على المناطق الفرنسية.
- انتظار وصول الإمدادات العسكرية من فرنسا[2].

محاولة قطع المساعدات التي كان يقدمها المغرب الأقصى لأن المعاهدة توقف الحرب بين الطرفين، و بالتالي فالأمير لم يعد بحاجة إلى تلك المساعدات.

أما الأمير قبل الهدنة من أجل تخفيف معاناة الشعب الجزائري والتقاط الأنفاس، وتوسيع نفوذه في البلاد والحصول على اعتراف الدول الأخرى ويبين للرأي العالمي الاعتداءات التي تقوم بها فرنسا على بلاده وشعبه، وبناء دولة يكون لها جيش منظم وجمع الأسلحة والذخيرة والسيطرة على المنطقة الغربية بالقضاء على الخونة والمعارضين لمسيرة الأمير عبد القادر[3].

لما طلبت فرنسا الصلح من الأمير عبد القادر قام بإرسال وفد إلى سلطان المغرب يستشيره في إنجاز الصلح مع العدو، كما أرسل مجموعة من الأسئلة لفقهاء فاس أراد فتوتهم فيها وكان من بينها:

---

[1] – صالح فركوس: **الحاج أحمد باي قسنطينة (1826–1850)**، د.م.ج، الجزائر، 1993، ص 150.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 125–126.

[3] – الغالي غربي وآخرون: المرجع السابق، ص 173.

- ما حكم من يتخلف عن الحريم والأولاد إذا استغرب نائب الإمام للدفاع عن البلاد هل يعاقبون وكيف عقابهم، ولا يأتي بغير قتالهم؟ هل تأخذ أموالهم وأسلابهم؟
- كيف العمل في من يمنع الزكاة أو من يمنع بعضها من التحقق بعمارة حصته في الحال هل يصدق مع قلة الدين في هذا الزمان أم يكون للاجتهاد فيه مجال؟[1]

لقد أجاب عن هذه الأسئلة العلامة الفقيه أبو الحسن علي بن عبد السلام موديش التسولي جوابا طويلا[2].

أما السؤال الذي يستوقفنا هل صحيح أن الأمير بحاجة ماسة إلى فتاوي من علماء فاس؟ أم كانت له أهداف أخرى من وراء هذا التصرف؟ والحقيقة أن الأمير لم يكن بحاجة إلى هذه الفتاوي، لذا يمكننا استنتاج أهداف الأمير من وراء هذه الأسئلة:

- العمل بمبدأ الشورى كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم.
- كسب ود وعطف السلطان عبد الرحمان بن هشام، فمن خلال هذا التصرف يظهر الأمير ولائه واحترامه للسلطان وأنه يعمل بمبدأ النصائح التي يقدمها له، وبهذا سيعمل السلطان المغربي على دعم الأمير عبد القادر ماديا ومعنويا، وإلزام السلطان شرعا أمام فتاوي فقهاء وعلماء فاس بدعم حركة جهاد الأمير عبد القادر ضد العدو الأجنبي.

لما وصل الوفد المبعوث من قبل الأمير إلى المغرب الأقصى استقبله السلطان وأحسن وفادتهم، وقدمت إليه الهدايا والكتاب، فسأل عن أحوال الأمير وعن أحواله مع العدو والرعية...فأخبره الوفد عن حقيقة الأمر، وقدم إليه السؤال فأرسله إلى شيخ الإسلام العلامة ابن الحسن علي بن عبد السلام لكي يجيب عن تلك الأسئلة[3].

ويقول صاحب التحفة أن الجواب كان لصالح الأمير، وبعد حضور الفتوى إلى السلطان أمر بإحضار" سبع كسوات فاخرات وسبع أفراس من عتاق الخيل بسروجها وأربعة مدافع

---

[1] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص ص 46–47.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 375.

[3] – نفسه، 377.

صغار وستين فرس، وأن بعض من الخزينة عشرة آلاف مثقال إلى الحاج الطالب وكيل الأمير بفاس ليشتري له بها من الإمدادات الحربية ما يأمره بشرائه. كما أرسل السلطان مع الوفد كتابا إلى الأمير يحثه على الجهاد ومقاتلة الكفار وعدم الكف عن محاربة أعداء الدين قاطعا له وعدا بزيادة تقديم المساعدات على المساعدات التي بعثها مع الوفد ودعوة الرعية وحثهم على الجهاد ومقاتلة العصاة والخارجين عنه[1]. ودعا الأمير أيضا باسم الإسلام أن يظل واقفا مثابرا على حركة الجهاد والدفاع عن الوطن ضد الغزاة وإكمال عمله الشريف وتوسيع وإنجاز واجبه، وفي الأخير طلب من الأمير أن يرسل إليه قميصه ليحتفظ به كأثر في مسجده الخاص[2]. وصرح له بجواز الصلح مع العدو إذا دعت الضرورة إليه، إبقاء على المسلمين وبلادهم، فإنه يجوز والضرورة لها أحكام وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب[3].

بعد معرفة الأمير عبد القادر رغبة فرنسا في عقد الصلح ووصول جواب السلطان في الموافقة على ذلك، دخل في مفاوضات مع الفرنسيين نتج عنها توقيع معاهدة صلح يوم 30 ماي 1837/ صفر 1253هـ، اشتملت على 15 بندا أهمها[4]:

- اعتراف دولة فرنسا على جزء كبير من المقاطعات التابعة له وبالمقابل يعترف الأمير بجزء من السيادة الفرنسية.
- ترخيص شراء الأسلحة والبارود للأمير من الفرنسيين[5].
- حرية التجارة بين الطرفين في المناطق الفرنسية والمناطق العربية.

وبموجب هذه المعاهدة تم انسحاب الفرنسيون من تلمسان يوم 9 صفر 1254هـ/ 4 ماي 1838م، وحل مكانهم الأمير عبد القادر بجيوشه ونظم في ذلك قصيدة شعرية يقول في مطلعها:

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 377 وما يليها.

[2] – بسام العسلي: المرجع السابق، ص 126.

[3] – محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 378.

[4] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 126.

[5] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 336.

إلى الصون مدت تلمسان يداها ولیت فهذا حســـن صـــوت نداها

وقد رفعت عنها الأضرار فلج به ويـــرد فـــؤاد من زلال نـــــداها

وذاروا من خديــها تفتق نـــوره فلا ترضى من زاهي الرياض عداها[1]

ورغم تحفظ المغاربة على هذه المعاهدة التي حرمتهم من تثبيت وجودهم في أراضي الجزائر وتقوية الميول الاستقلالية للأمير والفشل في تحقيق مشروع الإتحاد المغربي الجزائري الذي كان من بين أهداف السلطان، والذي سيجعله ملزما على مواجهة فرنسا إلا أنه قبل بمعاهدة التافنة، وتغير موقفه لصالح حركة الجهاد بالجزائر بفضل توسط المقربين للسلطان ومحاولة إقناعه بالوقوف إلى جانب الأمير، وفعلا استمر الدعم المغربي للأمير حتى بعد معاهدة التافنة، فبعد استرجاع تلمسان كتب السلطان إلى عماله في 15 جويلية 1837 ليبشرهم بانتصارات الأمير قائلا لهم:" **بشرهم بما شرح الصدر وأعلى الإسلام بظهور القوة ورفع القدر في فتح مدينة تلمسان...ومن غير أعمال سيف ولا نسان...وذلك بصلح أسفر عن العزّ وجه نجاحه وأطلع في فلك الإسلام طالع سعده وفلاحه وأصبحت به ثغور أهل الدين بواسم**"[2].

كما قام الوزير محمد بن إدريس العمراوي ببعث رسالة إلى الأمير عبد القادر يهنئه بهذا الفتح بدأها بقصيدة كان مطلعها:

بشرى بفتح كسا الإسلام إحسانا وصار منه لعين الدنيا إنسانا

صنع جميل سمت فضلا صنائعه لوحشة الدهر والأيام إنسانــا

فأصبحت ووجوه السعد مشرقة بها جهارا كأن الكفر ما كانا[3]

بدأ الوزير محمد رسالته بالثناء على الأمير عبد القادر ووصفه في قوله:" **محل الولد البار الساعي في المحاسن والمسار...**"، وفي وسط الرسالة هنيء الأمير بفتحه لتلمسان

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 341.

[2] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 87.

[3] – عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 341.

واسترجاعها من غير أعمال السيف ولا سنان وخروج العدو الكافر عنها بصلح محمود كما نصحه بالجنوح إلى الصلح ما دام فيه خير بقوله:"...**فإن السلم إذا كان** عن عزّ **لمصلحة كان داعيا لوفور القوة وانتظام العزم في جهاد أعداء الله، ففي الصلح أمور تذكر وفوائد تنكر**"، وحث الأمير على استرجاع قسنطينة والأقطار الأخرى واستمالة الناس لصفه حتى يتمكن من مواجهة العدو، وختم رسالته بالدعاء له بإتمام مسيرته وفتح الجزائر ووهران ونشر الإسلام في الثغور والعمائر، وإعادة بناء إمارته[1].

لقد اقترح الأمير في كتابه على السلطان أن يقوم بزيارة تلمسان، فاعتذر له قائلا:" **وما أشرتم به من أنا أولى بالزيارة...فذلك أصلحك الله منا تواضعك...الذي ظهر...وإلا أنت أولى من أن توصل وتزار**"، ولما أخبره الأمير بمغادرة الجزائر نهاه عن ذلك قائلا:

"...**فاعلم أنك روح تلك الأقطار وقطبها الذي عليه المدار، فلا ينبغي أن تزايل تلك الدائرة...وهي حديثة عهد باسترداد وقريبة زمن بجهاد وجلاد**"، فهل حقا كان في نية الأمير عبد القادر مغادرة الجزائر وهو في فترة سلم مع فرنسا، وفي موقف قوة؟ هل حقا يريد التخلي عن حركة الجهاد بعد السعي إلى رفع لوائها؟ بالتأكيد لا فقط أراد أن يختبر نوايا السلطان المغربي، إلا أن هذا الأخير عبر له عن حسن نيته ورغبته في الوقوف إلى جانبه مما شجع الأمير على مواصلة جهاده.

لقد تعرض الأمير عبد لقادر إلى مشاكل فمن جهة فرنسا كانت ترغب في تعديل معاهدة التافنة، ومن جهة أخرى تعرضه للضغوط وتمردات من قبل أحمد التيجاني[2] شيخ الطريقة التيجانية* بعين ماضي[1].

---

[1] – عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص ص 342-345.

[2] – هو أحمد بن محمد المختار التيجاني أحد أعقاب التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية(1781-1782)، وابنه محمد هو الذي ثار ضد الباي حسن حاكم وهران سنة 1827. أنظر، الأمير عبد القادر، **المذكرات**، المصدر السابق، ص 112.

*أسسها أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني نسبة إلى قبيلة توجين بعين ماضي، ساهمت في نشر الإسلام في بلاد السودان والسنغال والصحراء الإفريقية الكبرى. أنظر، صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية**، المرجع السابق، ص ص 175- 180.

لما دخل الأمير عبد القادر تلمسان وفتحها وحررها من الفرنسيين بموجب معاهدة التافنة فقام السلطان بإقامة احتفالات في مدن المغرب الأقصى مدة ثلاث أيام متوالية، ولما احتجت الحكومة الفرنسية عن طريق قنصلها دولابورت أجابته حكومة السلطان عبد الرحمان أن الدين الإسلامي يفرض على المغاربة الاهتمام بأحوال إخوانهم المسلمين، وتلمسان تعتبر حظيرة من حواضر الإسلام[2].

قام السلطان عبد الرحمان بإعطاء التاجر الطالب بن جلون عشرة آلاف من الذهب لشراء الأسلحة والذخيرة للأمير بالتعاون مع الحاج الطاهر الذي كان يوصل إليه الأموال عن طريق جماعة من المغاربة والمغامرين الأوروبيين والتجار اليهود[3].

ومن أهم ما نستنتجه هنا أن الاحتفالات التي قام بها السلطان عبد الرحمان والمساعدات التي كان يقدمها له دليل قاطع على رضا السلطان على الأمير ودعمه لحركته الجهادية والوقوف في وجه المستعمر، وأن معاهدة التافنة أعطت للأمير عبد القادر فرصة في تسيير الأمور والقضاء على المتمردين ضد حركته الجهادية.

كان الأمير عبد القادر يستشير السلطان عبد الرحمان في كل ما ينوي القيام به، من أجل كسب تعاطفه مع القضية الجزائرية، كذلك حتى يتفطن المغاربة لما قد يواجههم وتمكن من كسب اعتراف فرنسا بدولته.

- تحريره لتلمسان من أيدي الفرنسيين دون خسائر مادية أو بشرية أو عسكرية.

وفي سنة 1837 اتبعت فرنسا أسلوب المراوغة من أجل إجهاض معاهدة التافنة[4] فاستعان الأمير بسلطان المغرب من خلال إرساله وفد كان على رأسه أخوه محمد السعيد وقد أرسل

---

[1] – قصر في جبل عمور، أسسها المرابط المغربي سيدي محمد في القرن السابع عشر ميلادي، أسس فيها أحمد بن مختار التيجاني الزاوية التيجانية، حاصرها الأمير عبد القادر في 1838، دخلها الفرنسيون في 22 ماي 1844. أنظر الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 112.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 230–231.

[3] – نفسه، ص 231.

[4] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 311.

هدايا مع الوفد، وأرسل أيضا كتابا يتضمن شرحا مفضلا عن الظروف التي آل إليها بسبب الضغوطات الفرنسية، وطلب تعيين نائب عن السلطان يكون الأمير تحت إمرته:"**نحن الآن نرجو من سموكم أن ترسلوا أحد أبنائكم أو أحفادكم أو خدامكم لتولي سلطان الحكم...وسأكون أول من يعمل تحت راية من ترسلون وأن أسخر كل إمكانياتي إلى أقصى حد ذلك وأن أساعده بالرأي والنصيحة**"[1].

كان رد السلطان بتثبيت الأمير على الجهاد ومواصلة عمله النبيل يقول صاحب التحفة "**فكيف يسوغ لك النقض؟ وقد رفعت بك في ذلك القطر راية الإسلام وانتظم أمر الخاص والعام...ولولا وجودك وجدك لتفرقت أشياع تلك القبائل الإسلامية شذر مذر، ولافترست كلاب الروم أهله...ولكن الله سبحانه تداركه بإقامتك ولن تقدم من الله عونا ومددا**"[2].

ولما أراد الأمير التخلي عن حركة الجهاد رفض السلطان المغربي ذلك خاصة أن الكفة كانت لصالح الأمير بحجة التفاف الشعب حوله بعدما نشر الأمن والسلام حيث يقول الأمير:" **كل ذلك يعود تأييد الله الذي جاءنا من دعواتكم ورضاكم عنا، لولا ذلك كنت أضعف الناس على إنجاز هذا**"[3].

بعد سقوط المدية وملیانة أرسل السلطان عبد الرحمان إلى الأمير رسالة يحثه فيها على مواصلة الجهاد، وأرسل معها كمية معتبرة من الذخيرة في شهر جوان 1840، حيث جاء على لسان السلطان نفسه:" **أما عن الذخائر والبارود والرصاص فإنا نرسلها عن طريق خادمنا بن جلون من أجل معونتكم**"، كما أن معظم المعدات الحربية كانت تأتي بطريقة مجانية أو عن طريق الشراء، تشير بعض النصوص إلى هذه الأمور إذ أشار المؤرخ مولاي

[1] – هنري تشرشل: **حياة الأمير**، المصدر السابق، ص 157.

[2] – محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 410.

[3] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 200.

بلحميسي إلى الموضوع بقوله:" **لقد بقي المغرب مدة طويلة دار الصناعة ومنجم الذهب للأمير**"[1].

3) نقض معاهدة التافنة:

بعدما تمكن الفرنسيين من الاستيلاء على قسنطينة بحجة أنها وقت انعقاد الهدنة كانت تحت ولاية أحمد باي، وكمحاولة لنقض معاهدة التافنة أرادت تعديل بنود المعاهدة بإرسالها القائد دوسال إلى مليانة للتفاوض مع الأمير عبد القادر حول هذه القضية ولما اطلع الأمير على رسالة الحاكم التي تخيره بين أمرين إما القبول بالتعديل وإما الرفض الذي تكون نتيجته نقض المعاهدة، ولما طرح المسألة على ديوان الشورى، كان الجميع يميل إلى رفض التعديل، يقول صاحب التحفة:" **لا نقبل ولا نجيب إلا ما هو مذكور في التذييل ولا نرضى بالدنية في ديننا ولا يمار نخل شرفنا فالنار ولا العار، فإن كانت الدولة الفرنساوية ترضى أن تبقى على ما انعقد عليه الصلح في تافنا فذلك وإلا فالحرب وبالله المستعان**"[2].

ورغم عزم الأمير على السلم إلا أن السلطات الفرنسية كان هدفها استئناف الحرب خاصة بعد استيلائها على الشرق الجزائري "لبيبان الحديد"* بقيادة ابن الملك الدوق أورليان فاعتبر ذلك خرقا لما نصت عليه معاهدة التافنة، فقام الأمير عبد القادر بإبلاغ المارشال فالي باستئناف الحرب يوم 19 نوفمبر 1839 قائلا:" **مررتم بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلادي من الجزائر إلى قسنطينة بدون وجه يسوغ لكم ذلك، والذي يظهر أن القصد من**

---

[1] – نور الدين بلعربيي: المرجع السابق، ص 77.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 416– 417.

* هي عبارة عن ممر بين جبلين يصل ارتفاعهما إلى 60 أو 100 متر، ضيق مليء بالحص طوله 6 كلم ويعرف كذلك "يوقطن" اجتازه ابن الملك الدوق أورليان بمساعدة المقراني الذي عينته فرنسا خليفة، حيث اتجهوا نحو سير، وواد قدارة، ثم رمورة ثم القالة، اضطروا عند عبوره إلى تغيير الحمولة لضيقه ودامت مدة العبور 6 ساعات. أنظر، زاير عبد القادر: المرجع السابق، ص 61.

فعلكم هذا إظهار التعدي على حقوقي حتى أثأر لذلك وينجر الأمر إلى نقض المعاهدة...وبناء عليه أعلن لكم أنني عزمت على استئناف الحرب وبالله المستعان"[1].

كما كلف الخليفة البوحميدي بتضييق الخناق على القوات الفرنسية المتمركزة بوهران ومخيم عين بريدية ومسغرين، ومنع أي اتصال بينهم وبين القبائل القاطنة غرب وهران، كما أوصاه بإقامة معسكر لقوات المنطقة بمنطقة المالح[2].

لقد نشبت الحرب بين الطرفين بتوجه قوات الأمير عبد القادر إلى حجوط ومن ثم إلى نهر الشفة الذي كان يعتبر حدا في أيام الصلح، فشن قائدها هجوما على قبيلة أولاد غانم الذين كانوا تحت طاعة فرنسا، واستولى على ممتلكاتهم، وبعد هذا لاقتهم القوات الفرنسية عند نهر الشفة، ولحقت الأضرار بكلا الطرفين، كما استهدفت الهجمات أيضا منطقة متيجة التي شارك فيها الكثير من الجزائريين، يقول صاحب التحفة أن هذا الهجوم كان مهولا لم يسبق له نضير، أما وقعة بوفاريك التي كانت في جانفي 1840 بين جيش حجوط وجيش العدو الفرنسي وجيش آخر للعدو الذي خرج من بوفاريك قاصدا البليدة فاشتد الصراع بين هذه الأطراف...، وكان النصر فيها لقوات الأمير عبد القادر[3].

في 24 جانفي غزا خليفة معسكر نواحي مستغانم وحطم مزروعاتها، كما أغار على نواحي وهران، فامتلئ قلوب الفرنسيين رعبا وطالبوا بمضاعفة الإمدادات العسكرية فأمدتهم بعشرين ألف مقاتل وذخائر حربية[4].

أما القوات الفرنسة بقيادة الجنرال فالي فقد عملت على استهداف المدن الداخلية واتخاذها كقاعدة للانطلاق نحو الداخل محققا ذلك بالمساعدات التي قدمتها له حكومته في شهر

---

[1] – محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 432.

[2] – زاير عبد القادر: المرجع السابق، ص 61.

[3] – محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص ص 433-434.

[4] – نفسه، ص 435.

فيفري 1840 حوالي 19000 جندي وضابط، رغم محاولة تيير[1] الوقوف في طريق مشروع فالي، إلا انه لم ينجح في ذلك[2].

وفي 16 مارس 1840 خرج فالي من الجزائر متوجها إلى شرشال الذي لقي مقاومة شرسة من طرف المجاهدين لكنه تمكن من احتلالها، ثم توجه نحو المدية ودخلها في 17 ماي 1840 بعد خروج الأمير عبد القادر منها، وفي شهر جوان 1840 احتل مليانة[3].

والغريب في الأمر هو أن قوة الأمير ورغم ما أبلته في الأيام الماضية من انتصار وإلحاق الهزائم بالعدو تخسر في فترة قصيرة كل تلك المدن المهمة التي تعتبر معقل الجهاد هل سيعود هذا إلى ضعف حركة الجهاد أم قوة فرنسا التي دعمتها خيانة بعض الجزائريين لوطنهم ووقوفهم في صفهم؟

كان التيجاني من بين الذين كانت لهم يد في إضعاف المقاومة الجزائرية بوقوفه عندما اقترح على بالي مشروع الدخول في طاعته وتقديم الزكاة بعدما طلب منه العرب أن يكون أميرا عليهم[4].

نتيجة للهجومات التي قامت بها القوات الفرنسية، أصبحت تسيطر على جزء كبير من الساحل، كما كان لانتصارات جيش الأمير صدى قوي في المغرب الأقصى على المستوى الرسمي والشعبي، والذي أظهر حركة قوية من العطف والمؤازرة هذا ما أكده القنصل الفرنسي بطنجة دوري نيون في التقرير الذي كتبه إلى وزير الخارجية بتاريخ 8 جانفي 1840 والذي جاء فيه:" **من المؤكد أن استئناف الأمير القتال قد أثار حماسا كبيرا في**

---

[1]– تيير أدولف: (1797–1877)، ولد في مرسيليا واشتغل بالمحاماة والصحافة ثم الوزارة في سنة 1832 ورئيسا للوزراء سنة 1836، وانتخب رئيسا للوزراء سنة 1836، وانتخب رئيسا للجمهورية سنة 1871، له مؤلف هام تاريخ الثورة الفرنسية. أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 66.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 436.

[3] – نفسه، ص 437.

[4] – أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ج1 ، ص 213.

داخل المغرب وظهرت حركة قوية جدا من العطف عليه، وازداد التعصب بين الجماهير وكذلك يسارع المسلحون من جميع الجهات للمساهمة في الجهاد".

" يقوم المغاربة بإرسال الخيول والحيوانات لحمل الأشغال والقمح والمواد الغذائية، كل ذلك بدون مقابل، وفي نفس الوقت يجمع الأعيان الأثرياء أموالا ويبعثون بها إليه ويعني الأمير"[1].

كما تؤكد الرسالة أن هذه العملية تمت تحت إشراف السلطات المغربية ووفقا لتوجهاته" **وهذه الإعانات شجع على جمعها، والمولى محمد بن السلطان والباشا بياس، هما اللذان يتلقيان رسائل الأمير إلى السلطان ويقدمان إليه أجوبة القصر عنها، كما يقومان بتنظيم القوافل التي تنقل هذه الأشياء بصورة علانية ولا يتظاهرون بالتكتم إلا للمحافظة على المظاهر"[2].**

[1] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 102.

[2] – نفسه، ص 103.

المبحث الأول: عوامل تفكك العلاقات الجزائرية المغربية

1) سياسة فرنسا اتجاه حركة الجهاد بالغرب الجزائري:

تعتبر فترة مابين (1841–1844) منعرجا حاسما في تاريخ حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، بسبب الأحداث التي عرفتها منطقة الحدود الجزائرية المغربية خاصة بعد مجيء بيجو إلى الحكم، ونتيجة للسياسة العنيفة التي طبقها لجأ الجزائريين إلى المناطق الشرقية من المغرب واتخذوه كقاعدة عسكرية جديدة لهم، وقامت فرنسا بتقديم شكاوي إلى السلطة المغربية متهمة إياها باحتضان حركة جهاد الأمير عبد القادر وطالبت بإجلاء قواته من التراب المغربي والامتناع عن تقديم المساعدات لهم، ظهرت بوادر الصراع المغربي الفرنسي الذي كانت نهايته التصادم العسكري في معركة إيسلي الشهيرة التي كان لها الأثر الكبير في الحد من الدعم المغربي للأمير.

بعد هذا أرغم المغرب على عقد اتفاقية مذلة عرفت باتفاقية طنجة التي فقد المغرب من خلالها كرامته وسيادته.

تولى الجنرال بيجو منصب حاكم عام في الجزائر في 22 فيفري 1841 بدلا من الجنرال فالي الذي لم ينجح في إفشال المقاومة الجزائرية، حيث علقت آمالها عليه لوضع حد للأمير عبد القادر[1]، ولما علم بيجو أن الأمير مستعد لمحاربته والدفاع عن البلاد عقد مجلسا حربيا وضح فيه إجراءاته المستقبلية والذي جاء فيه:" **فلاح لي من الرأي الذي نتوصل به إلى تفريق كلمتهم وإخضاعهم للطاعة أن عساكرنا تتصدى أولا للاستيلاء على بسطائهم التي فيها انتجاع ماشيتهم، التي يرتزقون منها، فإن حصل هذا فلا شك في الفوز والنجاح، ثم نضع الحاميات الكافية، والمسلحات الوافية في الأماكن الصعبة في الطرق التي نمر بها، لنتمكن من إتباع آثار الفارين منهم واعلموا أن استعمال المحاربة بالنوع النظامي لا يجدينا نفعا لأن الخصم لا يعرف ذلك، وإنما نقابل العرب بما يقابلوننا به**"[2]، وانطلاقا من هذا الخطاب فإن بيجو اتبع سياسة الأرض المحروقة حيث قام بالإجراءات التالية:

---

[1]– هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 247.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 469–470.

- التخلي عن المعدات الثقيلة والمدافع الكبيرة ونظام الحملات العسكرية الثقيلة، بل ألغى حتى إدارة التموين والتخلص منها، واتخذ البغال والجمال لحمل الأثقال والذخائر عوضا عن العجلات.
- إتباع سياسة الترتيب للسيطرة على مختلف مناطق الوطن الواحدة تلوى الأخرى واتخاذ هذه المناطق قواعد عسكرية ننطلق منها لإخضاع مناطق أخرى كما تقوم بتخريب المراكز التي لا تخدم مصالحها لكي يستفيد منها العدو.
- دراسة قوة الخصم ومعرفة نقاط قوته وضعفه، حيث وضعت السلطات الفرنسية تحت تصرف بيجو 85000 رجل، في حين أن قوات الأمير لم تتجاوز 3000 فارس و 5000 رجل إضافة إلى جيشه النظامي وبعض القبائل التي دخلت تحت طاعته مثل بنو سناسن وبعض قبائل الحدود[1].

لقد افتتح الفرنسيون حملتهم سنة 1841 بإعادة تموين مدينتي المدية وملیانة، إذ خسر الفرنسيين الكثير من جنودهم كون الأمير نازعهم أثناء تقدمهم ثم توجه بيجو إلى وهران ومن مستغانم قاد حملة ضد تاقدامت[2] في 25 ماي 1841 فوجدها مهجورة بعد انسحاب الأمير منها فأمر بحرق حصونها، ثم بعد ذلك قام بتخريب بوغار وسعيدة وتازة[3].

في سنة 1841 سار الجنرال بيجو من الجزائر إلى ملیانة ومعه جيش كثيف ثم رجع إلى الجزائر فحضر له الأمير كمينا في الغابة، وهزم بيجو فرجع إلى ملیانة تاركا وراءه القتلى والجرحى والذخائر، ولما رجع إلى الجزائر قام بتقسيم جيوشه على الثغور، فعين الجنرال بركوباي ديلي على الجهة الشرقية والجنرال بارتسمي على الجزائر، أما القسم الأكبر فتوجه إلى مستغانم مع الدوق دومال وأخوه الدوق دوتيمور وضم إلى جيشه حيث وهران، وبعد أيام سار نحو تاقدامت التي سبق للأمير وأن أمر بإخلائها بعدما حمل ما

---

[1] – عبد الأمير هويدي الحيدري: **الأمير عبد القادر الجزائري ودوره السياسي والعسكري**، مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية، المجلد 17، إتحاد المؤرخين العرب، جامعة بابل، العدد 2، 2009، ص 485.

[2] – بنيت هذه القلعة في ماي 1836، وهي مكونة من قسمين قسم خاص بالمنشئات الحكومية ويشمل القصبة والحصن والإسطبل، وقسم خاص بمنشئات المدينة وضم المساكن العمومية، كما ضمت هذه المدينة مصنع للنقود والأسلحة ومطحنة للبارود. أنظر، سكوت: **مذكرات الكولونيل سكوت**، المصدر السابق، ص 88.

[3] – هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 249.

يستطيع حمله من الذخيرة الحربية والمؤن، وسار العدو إليها واستولى على ما فيها وأقام عليها حرسا، وفي طريق العودة نصب الأمير لهم كمين عند مضيق "عقبة خدة" ومضيق"فرقوق"، وقد كانت خسائر الطرفين جسيمة، واستمر ذكر هذه الواقعة في محافل فرنسا ومجامعها[1].

وبعد هذه الواقعة كتب إلى بيجو رسالة مما جاء فيها:"...**لا يخفى عليكم أيها الحاكم أن مهاجمتكم بلادنا...وأنتم وغيركم من رجالها نراكم تساعدونها على الاعتداء والاغتصاب...وبالجملة فنحن لا نترك قتالكم ما دمتم في طغيانكم تعمهون...وما علم من التواريخ القديمة أن العرب يبتهجون في معامل القتال، كما يبتهج العريس ليلة عرسه...**"[2].

ومن خلال هذه الرسالة نلتمس إصرار الأمير على المقاومة والجهاد والوقوف في وجه الخطط والأساليب الخطيرة التي اتبعها بيجو لإجهاض المقاومة والقضاء عليها مهما كلف الأمر وبقي مخلصا لوطنه وحرص على محاربة أعداء الدين، والحفاظ على هوية الشعب ومقدساته.

ولمحاولة فك الحصار الذي فرضته عليه القوات الفرنسية حاول الأمير الاتصال بالعالم الخارجي لتلقي المساعدة قام بمراسلة ملكة إسبانيا مستغلا العلاقات السياسية بين فرنسا وإنجلترا التي كانت في تلك الفترة متوترة، لكن الوزارة البريطانية أبت ذلك ولم تسمح لسفير الأمير بمقابلة الملكة، كما لم تجب على الرسالة التي بعثها الأمير رغم وعدها بالرد، ومن جهة أخرى راسل أيضا السلطان العثماني يشرح له المعاناة التي يمر بها الشعب الجزائري تحت الضغط الفرنسي طالبا منه إرسال النجدة[3]، لكن طلبه قوبل بالرفض، كون الدولة العثمانية تعاني من الضعف بسبب اختلال التوازن بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، وبروز الثورة الصناعية والمشاكل الداخلية للدولة العثمانية بسبب استفحال الخطر الصليبي الذي كان يشجع تلك الثورات خاصة في البلقان، والتحالف الغربي على

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 473–474.

[2] – نفسه، ص ص 475–476.

[3] – هنري تشرشل: المصدر السابق، ص ص 282–283.

الدولة العثمانية فاكتفى السلطان العثماني بتحريض الأمير وتشجيعه على مواصلة حركة الجهاد[1].

ومن أجل عزل المقاومة عن الشعب طلب بيجو من ليون روش المدعو الحاج عمر الحصول على فتوى تجعل المسلمين يتخلون عن حركة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ولتثبيت موقفه أخذ معه عدد من الأتباع المعادين لثورة الأمير وعلى رأسهم التيجاني والمزاري آغا الدواير، وميلود بن سالم الأغواطي حيث توجه روش نحو القيروان ثم الأزهر ثم بعدها نحو شريف مكة، ولما حصل على هذه الفتوى من علماء الأزهر والقيروان صادق عليها علماء الحرم المكي التي خلاصتها" **يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزو بلادهم بالقوة وذلك إذا لم يؤذي هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم حرية إيمانهم**"[2]، كما صادق على هذه الفتوى أيضا علماء القاهرة ودمشق وبغداد، ونشرها الجنرال بيجو في الأسواق حيث كانت الفتوى بمثابة الحرب النفسية التي استعملتها فرنسا في القضاء على المقاومة الشعبية والتفرقة بين أفراد الشعب الجزائري فاستعملت الدين كوسيلة للقضاء عليه وتشتيت شمله[3].

لكن رغم المؤامرات والدسائس الخطيرة من قبل السلطات الفرنسية إلا أنها لم تكسر عزيمة المجاهدين الجزائريين بقيادة الأمير وظلوا صامدين أمام الهجمات والأساليب الوحشية التي تعرضوا لها.

واصل بيجو خطته التي كان الهدف منها السيطرة على المناطق الإستراتيجية والمدن المهمة، فخرج من معسكر بعدما خضعت معظم القبائل لطاعته وتوجه إلى تلمسان في 29 جانفي 1842 بعدما كان الأمير قد أخلاها بعد وصول خبر قدوم بيجو إليها فدخلها هذا الأخير واحتلها دون مقاومة وعين عليها الجنرال بيدو[4]، أما الأمير فرحل إلى منطقة

---

[1] – نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 83.

[2] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 40.

[3] – نفسه، ص 41.

[4] – بيدو ماري ألفونس:(1804–1863)، جنرال فرنسي شارك في عدة معارك في بلجيكا، أبرزها كانت عامي(1831–1832) واستدعى إلى الجزائر سنة 1836، شارك بيجو في أعماله ثم رجع إلى فرنسا في 1847 وشغلها بعدها في وزارة الحربية عزل عن منصبه سنة 1851. أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 118.

ندرومة بالقرب من تلمسان، وحاول بيجو اللحاق بقواته الواقعة بين جبال ندرومة بالقرب من تلمسان فوجدها قد غادرت هذه المناطق إلى أراضي المغرب الشرقي خلال شهر مارس 1842[1].

رغم إخضاع بيجو لمعظم القبائل إلا أن البعض منها من فرسان الحشم والشراقة[2] والغرابة[3] المشهورين بالشجاعة والقوة لم يتخلوا عن الأمير، حتى أن القبائل التي أخضعها رجعت عن طاعته وعادت إلى الأمير، وعقد مجلسا حربيا بمعسكر، حيث قسم الجنود إلى ثلاثة أقسام:

- قسم تحت قيادة الماريشال بيجو ويكون مركزها في نواحي الشلف.
- والثاني تحت قيادة الجنرال شانغارييه[4] ومقره البليدة.
- أما القسم الثالث تحت قيادة الجنرال لامورسيير ومركزه معسكر، إذ تمكنت من القضاء على المدن والقلاع وإضعاف حركة الجهاد، مما دفع بالأمير إلى تكوين الزمالة العاصمة المتنقلة[5].

أ/ سقوط الزمالة ولجوء الأمير إلى المغرب:

لقد نجح الجنرال بيجو في القضاء على الزمالة العاصمة المتنقلة للأمير بمساعدة أحد الخائنين عمر بن فراخ آغا قبيلة بني عياد الذي زوده بأخبار تحركات الأمير، فسار الدوق دومال إلى قوجيلة ومن ثم نحو نبع طاقين[6] مستغلا غياب الأمير الذي كان في نواحي السرسوا يراقب الجنرال لامورسيير، وكانت هذه الواقعة من أهم الوقائع حيث فقد الأمير من خلالها الكثير من الأموال والآلات الحربية، وأسر الكثير من المسلمين من

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 485-486.

[2] – الشراقة: قبائل من الرحل خيمت بالهضاب العليا في إقليم وهران، وهي أولاد زياد، الدراقة، عكرمو، الشراقة، أولاد عبد الكريم، أولاد سرور، والرزانية. أنظر، الأمير عبد القادر، **المذكرات**، المصدر السابق، ص 26.

[3] – الغرابة: قبيلة تسكن جنوب وهران في منطقة من سهل كليلات غابة مولاي إسماعيل، وسهل سيق كانت جزء من المخزن تضم أغاليك الغرابة 15 قبيلة، و3 ضيعات. أنظر، الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 26.

[4] – شانغارييه: ولد في 26 أفريل 1793 ببلدة أوتان، جنرال فرنسي ورجل سياسي، أصبح حاكما في الجزائر ثم أبعد منفيا بعد انقلاب فرنسا 1851، وأعيد إلى فرنسا 1859. أنظر، بسام العسلي: المرجع السابق، ص 141.

[5] – محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 487 وما يليها.

[6] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**، ج2، المرجع السابق، ص 431.

بينهم عمال الأمير الخليفة السيد محمد بن علال، والسيد محمد الخروبي، والسيد قدور بن رويلة، وتحت هذه الضغوط اضطر الأمير للجوء إلى الأراضي المغربية[1]، ومن بين الأسباب التي دفعته إلى ذلك ما يلي:

- عجز القبائل الجزائرية عن مساعدة الأمير بعد دخول شيوخها تحت طاعة الفرنسيين وخوفا من العقاب الذي سيلحق بها لذا أدرك الأمير أن الاعتماد عليها أمر مستحيل.
- تمركز دائرته في المغرب الأقصى التي ستمكنه من حرية التحرك، كما ستمكنه من حمايتها من غارات الفرنسيين وأعمال النهب.
- إنشاء وحدات مقاتلة جديدة وإعادة تأسيس دولته.
- ضم قبائل الحدود المغربية إلى صفه وبإقناعهم بالمصير المشترك بين المغاربة والجزائريين، وبعث الطمأنينة في نفوس المهاجرين الجزائريين بالمغرب[2].

إن بيجو قد أخطأ لما قال أن الحرب قد انتهت في الجزائر، فبلجوء الأمير إلى الأراضي المغربية وجد المساندة من المغاربة، إذ نجح في استمالتهم ووقفوا في صف واحد مع جيشه ضد فرنسا، وشاركوا معه العديد من المعارك كما قدموا له المساعدات المادية والمعنوية[3]، هذا الذي سيجعل أراضي المغرب مسرحا للصراعات بين القوات المغربية والفرنسية وعليه كيف سيتعامل المغرب مع هذه التطورات الجديدة؟ وهل سينجح في الصمود أمام المخططات الفرنسية التي تسعى إلى تفكيك وحدة التعاون المغربي الجزائري؟

قبل التطرق إلى هذا الوضع سنتطرق إلى المساعدات التي قدمها المغاربة للأمير بعد لجوءه إلى المغرب الشرقي.

ب/ مساعدة المغاربة للأمير بعد لجوءه إلى المغرب الشرقي:

لم تتوقف السلطات المغربية من تقديم الدعم والمساندة للأمير بمختلف أشكالها رغم السياسة التي اتبعها بيجو لمنع ذلك، خاصة قبائل الحدود المغربية الجزائرية كالأنجاد

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 516.

[2] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري لأمير عبد القادر**، ج1، المرجع السابق، ص 451.

[3] – نفسه، 452.

والمهاية، وبنو وسين، وبنو يزناسن، والملاحظ للأمر سيرى أن المساندة الشعبية كانت أكثر من المساندة الرسمية.

تلقى الأمير سنة 1841 مبلغ مالي من طرف قبائل المنطقة، كما كان لسلطان المغرب دورا في حماية القوافل المتجهة نحو الغرب الجزائري المحملة بالمواد الغذائية والحربية كما تلقى سكوت أثناء سفره إلى الجزائر عبر المغرب مساعدات تمثلت في 8 جياد وحوالي ألف بندقية والعديد من أطنان البارود مقدمة للأمير من أجل دعم حركة جهاده[1].

كما كان لبعض الشخصيات المغربية التي تتمتع بالنفوذ والمكانة في البلاط المغربي الدور في تشجيع السلطان على مساعدة الجزائريين ومن بين هؤلاء نذكر محمد مكوار الذي كان يسهل للجزائريين شراء الأسلحة عبر جبل طارق كما كان يسهل عملية عبورها من الولايات الإيطالية، كذلك قائد منطقة الغرب بن عودة والتاجر الثري محمد الدكالي[2].

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعدما أخذ الرومي تلمسان
أين الكماة الحماة مالهم رقدو والكفر في أخذهم ما زال يقضانا
أين الأباة لمس الغيم مالهم إليه لم ينفرو رجلا وركبانا
كأن أهل الجزائر أو غيرهم ليس لنا باعتبار الدين إخوانا[3]

ورغم إدراك المغاربة لخطورة الموقف، اتخذ الأمير أراضيها قاعدة خلفية لحروبه خاصة بعد سقوط تلمسان، إذ جاء في تقرير قنصل فرنسا في طنجة إلى وزير الخارجية بتاريخ 10 جانفي 1842 يقول:"**أحدثت هذه الحالة أثرا عميقا وثاملا من القلق في فاس فإن الجميع يتوقعون الآن بأن عبد القادر نفسه مضطرا إلى الالتجاء إلى المغرب الأقصى ووجود الأمير هنا سوف يجر إلى عواقب لا يمكن تقديرها[4]**.

كما قام السلطان المغربي ببعث رسالة إلى ولي عهده سيدي محمد بتاريخ 15 ماي 1842 يخبره فيها بالأوضاع التي آل إليها الأمير عبد القادر بعد سقوط تلمسان، والتي

---

[1] – سكوت: **مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر**، المصدر السابق، ص 28.

[2] – نفسه، ص 65 وما يليها.

[3] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 121.

[4] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 283.

جاء فيها مايلي:"**فإن الأعداء أهلكم الله حسبوا كل بيضاء شحمة وقويت أطماعهم ومنتهم أنفسهم وهموا بما لم ينالوا ولما استولى على تلمسان ورأوا ما عليه أهل حوزها من التواكل والفشل والرعب منه والفرار أمامه ظنوا أن هذه الناحية مثل تلك وأرادوا التعدي على الحدود مد الأيدي إلى الأيالة**"[1].

لما تعرض السلطان للضغوط الفرنسية خرج من مدينة فاس نحو مدينة مراكش وترك ابنه ولي عهده سيدي محمد لإعطاء منتفس لحركة جهاد الأمير عبد القادر[2].

2) الصراع المغربي الفرنسي:

بعد انهزام الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين المعروفة بمعركة الزمالة في ماي 1843، التي فقد من خلالها عاصمته المتنقلة اضطر بعده مطاردة دامت سبعة شهور أن يلجأ إلى مراكش، وبدأ يشن الغارات على الفرنسيين ويسم أهلها بالخسف والدمار[3]، فبدأت السلطات الفرنسية تضغط وبشدة على السلطات المغربية تطالبها بمنع عبد القادر من التوغل في بلاد الجزائر، حيث قام الجنرال بيجو بمراسلة عامل وجدة علي بن الكناوي يطلب منه منع الأمير عبد القادر عبور الحدود[4]، كما قدم قنصل فرنسا بطنجة احتجاجين صيغ كل منهما في لهجة شديدة أحدهما كان في 14 أفريل، والثاني في 14 ماي 1842 يطالب فيه منع الأمير عبد القادر الحدود والعودة إلى الجزائر[5].

كان رد السلطان التماطل بحجة أن بلاد الريف خرجت من يده ودخلت تحت طاعة الأمير، ولا يمكنه الاستجابة لمطالبهم، إضافة إلى مساندة قطاعات هامة من الشعب المغربي للأمير وعلى رأسها الوزير بياس ومحمد بن السلطان، التي كانت تطالب نفسه لنجدته وتقديم المساعدات العسكرية لاسترجاع ممتلكته حتى لو اضطر إلى إعلان الحرب على المسيحيين[6].

---

[1] – نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 88.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 241.

[3] – يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ص ص 49-50.

[4] – محمد بن عبد القادر: **تحفةالزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 533.

[5] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 238-239.

[6] – نفسه، ص 239.

كنتيجة لذلك أدرك بيجو خطورة الأمر ومدى وقوف المغاربة في صف الأمير عبد القادر ومساندته مما سيؤدي حتما إلى استرجاع قوته الأصلية فخاطب أعوان مجلسه قائلا:" **ولا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبة والتشبع له، (يقصد عبد القادر) حتى أنهم يودون أن يكونوا تحت طاعته وإدارته، لما رأوا من أتباعه من الشريعة الإسلامية، وشاهده من حسن سياسته معهم ...والذي زادهم رغبة في طاعته ما كانوا يسمعونه عنه من حسن سيرته مع رعاياه**"[1].

وكان جواب السلطان القائل:"**إن بلاد الريف قد خرجت من يدي ودخلت في طاعة الأمير عبد القادر فلا يمكن إجراء شيء من مطلبكم السبب المباشر والداعي الأكبر لفتح باب الخلافات بين المغرب الأقصى ودولة فرنسا وتوريط السلطان نفسه وتعريض بلاده لخطر كان يتفادى الوقوع فيه، فجوابه جعل فرنسا تلجأ إلى قوة السلاح لحماية الحدود من الأمير، فكانت أول مواجهة عسكرية بين المغرب وفرنسا**"[2].

كان أول تدخل قامت به فرنسا لما عرضت على السلطان المغربي عرض رسم الحدود في شهر جويلية 1842، والذي قوبل بالرفض من طرف السلطان بحجة أن الحدود مرسومة ولا داعي لمناقشة هذه المسألة بقوله:" **الحدود بين الجزائر والمغرب معروفة وواضحة...**"، وقامت فرنسا برسم الحدود المغربية الجزائرية دون علم أو استشارة المغاربة، كما طالبت باعتقال الأمير عبد القادر وسجنه في إحدى المدن المغربية[3].

قابلت السلطات المغربية هذا الطلب بالرفض ونتيجة لهذا قام الجيش الفرنسي بقيادة لامورسيير باحتلال مقام لالا مغنية الواقعة شمال تلمسان، والتي كان مقامها معظما عند أهل المغرب فقام الفرنسيين بهدم ذلك المقام ، فأثار هذا التصرف حفيظة السلطان وتحركت الحمية الدينية لدى المغاربة فأعلنوا الجهاد ضد الفرنسيين[4].

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص ص 533–534.

[2] – نفسه، ص 534.

[3] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 242.

[4] – بسام العسلي: المرجع السابق، ص 146.

أمام هذه التطورات أرسل السلطان قوات نظامية بقيادة على بن الكناوي إلى المنطقة وخلال شهر ماي 1844 كتب الكناوي خطابا شديد اللهجة إلى لامورسيير لجلاء قواته والانسحاب إلى شرق نهر التافنا[1].

ولما رفض ذلك زحف ابن الكناوي بجيوشه إلى وجدة واصطدم بالمعسكر الفرنسي فكان النصر للفرنسيين فاستولوا على أثقال وذخائر الجيش المغربي الذي انسحب نحو وجدة وقد كانت أول مواجهة بين الجيش المراكشي وفرنسا الذي انسحب نحو وجدة.

توجه بيجو إلى بلاد زواوة، فاصطدم بجيش المسلمين بقيادة الخليفة أحمد بن سالم في قليسة، فطلب بيجو الجند والذخائر من دولته فكسر شوكة المسلمين، وقام بحرف القرى وإدخال القبائل تحت طاعته التخلص من الأمير وضرورة توحيد الجهود المغربية والفرنسية للقضاء عليه، وبعد هذا اللقاء قام السلطان بعزل الكناوي من عمالة فرقة من جيش ابن الكناوي بالهجوم على الجيش الفرنسي لكن بيجو فتراجع الجيش المغربي إلى وجدة[2].

لحسن حظ السلطان أن فرنسا لم تكن مستعدة لمواصلة الحرب خوفا من فقدان جهودها وكذلك إثارة حقد انجلترا عليها، لهذا راسل بيجو حكومة المغرب يطلب:

- إخراج الأمير عبد القادر من الأراضي المغربية وتوقفها عن مد المساعدات له.
- وضع الحدود بين الجزائر ومراكش[3].

وقد جرت مراسلات عديدة بين الكناوي وبيجو يقول فيها هذا الأخير:" **إن حل المقصود الأهم هو أمر الأمير عبد القادر وتحديد الحدود التي كانت بينكم وبين حكومة الأتراك الجزائرية...وإننا نلح عليكم ألا تقبلوا إقامة عبد القادر في بلادكم وأن لا تساعدوه علينا فإن قبولكم لإقامته في أرضكم تعده حربا لنا، وعداوة لا صداقة**"[4].

وكان من بين الشروط التي أملاها بيجو على الكناوي ما يلي:

- انتقال دائرة الأمير إلى فاس.

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 534.

[2] – نفسه، ص 537.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 51.

[4] – محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 537.

- تفريق دائرة الأمير.
- امتناع المغاربة من تزويد الأمير بالبارود أو الرصاص أو الغذاء.
- عودة قبائل الجزائر الفارة من المغرب إلى الجزائر.
- اعتبار أراضي عطية وأراضي مسيرة والأعشاش وأولاد ملوك وأراضي بن بوسعيد وأراضي أولاد نهار كلها لفرنسا بأهلها ماعدا أرض عطية تعد لنا وأهلها للمغرب[1].

لكن المغاربة وكعادتهم ضربوا هذه الشروط عرض الحائط والتي سيكون لها عواقب وخيمة على المغرب بلدا وسكانا.

أ/ احتلال وجدة:

بعد تماطل السلطات المغربية في الإجابة على الشروط التي وضعها الجنرال بيجو قام باحتلال وجدة يوم 19 جوان 1844 من أجل الهدم والتخريب وبعث الرعب في نفوس السكان، لكنه عند وصوله دخلها دون مقاومة تذكر لأن المغاربة كانوا قد انسحبوا منها قبل وصول الفرنسيين بسبب فشل المفاوضات مع بيدو[2].

وقد اعترضت العديد من الدول الأوروبية ومن بينها بريطانيا على تصرف بيجو، وقامت بممارسة الضغوطات على السلطان من أجل الاستمرار في تقديم الدعم للأمير عبد القادر، كونها تناهض التوسع الفرنسي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لكن بيجو استمر في توسعاته في المغرب الأقصى وبعد دخول وحدة أمر بإخلائها ثم عاد إلى معسكره في لالا مغنية[3].

بعد الإنذار الذي قدمه لامورسيير إلى الكناوي، قامت فرنسا بمضاعفة القوات البحرية وفي 11 جوان 1844 قامت بإرسال فرقة بحرية من أسطولها إلى السواحل المغربية بقيادة"جوانفيل" الذي أوصته بالهجوم في حالتين:

- الأولى هي حماية رعايا فرنسا ما تعرضوا للخطر.
- الثانية مساعدة بيجو في حالة قيامه بالحرب على الحدود البرية.

---

[1] – نور الدين بلعربيي: المرجع السابق، ص ص 92–93.

[2] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**، ج2، المرجع السابق، ص 462.

[3] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 242.

وبعد تقديم هذه المطالب يوم 28 جوان كانت القوات الفرنسية قد توغلت في وجدة وتراجعت عنها، كما قام بالعودة إلى مغنية وحصنها عبر الحدود مرتين يوم 30 جوان و 19 جويلية 1844[1]، ونبه بيجو جوانفيل بعد الوقوع في الهزيمة في الرسالة التي كان نصها:"**إذا سلمت المعركة للمغاربة فسيكون قنصل فرنسا وجميع مواطنيها الذين يقدمون بالساحل سجناء وستكون حياتهم حينها في خطر من هذا أيها الأمير تبدأ مسؤوليتك أترك الأمر لنباهتك في الاهتمام بما سنقرره فيما يتعلق بما بقي أن تقوم به**"[2].

ونتيجة للوضع الذي آل إليه الأراضي المغربية، وخوف السلطان عبد الرحمان من تأزم الوضع ونشوب الحرب وجه كتابا لعماله بالاستعداد للطوارئ المنتظرة من جانب فرنسا فأمرهم بتركيب آلات الحرب وإنزال المدافع وتفقد عددها، وتعمير الأبراج والصقائل من أجل إظهار عزة الإسلام وإفشال مساعي العدو الفرنسي في التوسع أكثر في الأراضي المغربية[3].

قام ولي العهد الأمير محمد بمراسلة أبيه يخبره عن مكان نزوله بقوله:"**يكون في علم مولانا نزلنا في سيدي ملوك حلول عز ويمن وسعادة نرجوه مولانا أدام الله وجوده ونصر أعلاه**"، ثم بذكر له القبائل التي انضمت إليه وعزمها على الجهاد في صفه:"**وتلقانا بها قبائل أنكاد بعطاطينهم، وأظهرت من الفرح والسرور...وانحاشت إلى عاملها الطالب حميدة الشجعي، وانتظم شملها...وقاموا بمونة المحلة أحسن قيام وصحبنا كافة فرسانهم ورجالهم وجميع أعرابهم، وقد اجتمع من القبائل الصحراوية أيضا خلق كثير لله الحمد وله المنة**"[4].

كما تطرق إلى أخبار الأمير عبد القادر قائلا:"**والسيد عبد القادر بن محي الدين تأخر بمن معه للملوية بألطف إشارة وأرهف عبارة من المطالب حميدة والشيخ حمدون يأمرنا**

---

[1] – جوانفيل: أميرال فرنسي من مواليد 1818–1900، وهو الإبن الثالث للويس فيليب شقيق دومال. أنظر، بسام العسلي: **الأمير عبد القادر الجزائري**، المرجع السابق، ص 184.

[2] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 135.

[3] – ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس**، ج5، المصدر السابق، ص 110.

[4] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 110.

وإشارتنا فلم يبقى للكافر الآن ما يعتذر به من جهته...والذي حققناه أن هذا العدو لا يقنع بتأخير السيد عبد القادر ولا بكل ما يفعل معه"[1].

رغم الضغط الذي مارسته القوات الفرنسية على سلطان المغرب لإبعاد الأمير من الأراضي المغربية والكف عن مساعدته، إلا أن السلطان أبى ذلك يقول بعض المؤرخين أن السبب يرجع إلى أنه كان يخشى من انقلاب شعبه ضده في الداخل، كون الشعب المغربي أصبح ينظر إلى الأمير نظرة القائد الكبير لحركة الجهاد في الجزائر والمغرب أيضا، مما اضطر السلطان لرفض تسليم الأمير والانصياع لشروط فرنسا التي قامت بضرب السواحل المغربية، ودخل المغرب في مواجهة حتمية مع القوات الفرنسية[2].

ب/ معركة إيسلي:

لقد اضطر السلطان إلى تجهيز جيش بقيادة ولي عهده محمد لمواجهة الفرنسيين بالرغم من أنه أراد تجنب ذلك، لكن حماس الرأي العام المغربي شرقا نحو شقيقه الشعب الجزائري خاصة أهل فجيج ولعمور وقبائل لمهابة وبنو يزناسن عزموا على المشاركة فيها بأنفسهم وأموالهم حيث عملوا على صنع المفرقعات وحفر الخنادق الجوفية التي برع فيها أهل فجيج[3].

لما نزل الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمان بوادي إيسلي، كان الحاج عبد القادر مارا في تلك الناحية ومعه خمسمائة فارس بعدما آل إلى أمره الانحطاط والتراجع وانقلب نفعه ضررا، فتقابل الأمير وسيدي محمد بوادي إيسلي فجرى بينهما اجتماع وتدخل الأمير من خلالها برأيه لصالح ولي العهد حول كيفية تخطيط المعركة قائلا:" **إن هذه الفرش والأثاث والستارة التي جئتم بها حتى وضعتموها بباب جيش العدو ليس من الرأي في شيء، ومهما نسيتم فلا تنسوا أن تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض وإلا فإن العدو مني رأيه الأخسية مضروبة لم ينته دون الوصول إليها ولو أفنى عليها عساكره"[4].**

---

[1] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 50.

[2] – أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، المرجع السابق، ص 262.

[3] – محمد الشريف ساحلي: المرجع السابق، ص 111.

[4] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 51.

لكن تلك النصائح المقدمة من الأمير عبد القادر ضربت عرض الحائط بسبب انتهاز بعض حاشية الخليفة التفحص بمحضره والإشارة عليه قبل استشاره.

لما رفض الأمير محمد نصيحة الأمير عبد القادر عاد أدراجه من حيث أتى ولسان حاله يقول:"**لم آمر بها ولم تسؤني**"، كما حاول أيضا بعض الأعراب إيقاظ الخليفة وإخباره بتحركات العدو، لكن الحاجب لم يسمح لهم بمقابلته بحجة أنه نائم، وتكررت النداءات من أربعة أناس آخرين لكم دون جدوى فيقال أن الحاجب قال:" **إن الأمير نائم ولست الذي أوقظه**"[1].

وفي صبيحة يوم 14 أوت 1844 أقبلت القوات الفرنسية على وادي إيسلي، فأمر الخليفة محمد بالركوب والاستعداد وألا يبقى بالمحلة إلا الرماة وقد كان تعداد الجيش المغربي 600 ألف فارس، و1200 من المشاة و50 ألف من فرسان القبائل أما الجيش الفرنسي فقد شكل من 6500 جندي و1500 فارس[2].

لكن الخيالة المغربية ومشاتها وقعت في خطأ، بدل استخدام أسلوب الدفاع استخدمت أسلوب الهجوم لكنها لم تصمد أمام قوة المدافع المكونة من إحدى عشر مدفعا، فانشر الذعر والبلبلة في صفوف الجيش المغربي، وتشتت شمله، خاصة بعد انتشار إشاعة موت الخليفة بسبب تغيير زيه، فتسابق الجيش على المال وتقاتلوا عليه، وبدأ الناس يتسللون الواحدة بعد الأخرى حتى بدأ بالفشل يظهر في الجيش، فتراجع الجيش وانهزم وتبعه العدو يرمي الكور والضوبلي، وتمكن بيجو من اجتياز وادي إيسلي وتوجه نحو مخيم سيدي محمد، واحتلوا مكان انتشار خيم الجيش المغربي، ومرتفعات قاضية السلطان عبد الرحمان فانسحب المغاربة إلى وادي سناسن ومن ثم إلى تازا[3].

لما بلغ السلطان وهو مراكش خرج يطوي المراحل طيا كي يدرك رتق الفتك قبل اتساعه[4]، وفي نفس اليوم من سنة 1844 قام الأمير جوانفيل بقصف الموانئ المراكشية بقوات بحرية بلغت خمسة آلاف كورة، وقام بتخريب ميناء طنجة وضرب ميناء الصويرة

---

[1] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 51.

[2] – عبد القادر سلاماني: المرجع السابق، ص 174.

[3] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري** للأمير، ج2، المرجع السابق، ص 491 وما يليها.

[4] - ابن زيدان : **الإتحاف**، ج5، المصدر السابق، ص 70.

(موغادور)، واحتل المدينة مهددا بالزحف على مدينة فاس[1]، فحلت الهزيمة وضربت المغرب الأقصى كارثة مرعبة في البر والبحر في وقت واحد، فازدادت حيرة المولى عبد الرحمان وضجره وضاقت عليه الأرض بما رحبت[2].

تعود أسباب هزيمة الجيش المغربي إلى ما يلي:

- انتشارا لخبر هلاك الخليفة الذي زعزع صفوف المغاربة وأنقصها من عزيمتهم فأصابهم الذعر والخوف فأدى هذا إلى لحاق الهزيمة بهم يقول الناصري:"**ثم لما التقى الجمعان وانتشبت الحرب صد العدو الخليفة وقصده بالرمي مرات عديدة...ولما رأى الخليفة ذلك غير زيه بأن أسقط المظلة ودعا بفرس كميت فركبه ولبس آخر فاختفى حينئذ...ولما التفوا إلى جهة الخليفة ولم يروه بسبب تغيير زيه...قال المرجفون إن الخليفة قد هلك فماج الناس بعضهم في بعض وتسابق الشراردة إلى المحلة فعمدوا إلى الجناح الذي فيه المال فانتهبوه...ولم يهزم المسلمين إلا المسلمين كما رأيت**"[3].
- تفوق الجيش الفرنسي في العدة والعتاد المؤلفة من 11 مدفع وحسن استخدامها وبعكس الجيش المغربي الذي كان يقاتل بالفوضى، والذي ساهم في الهزيمة أكثر هو إتباع المغاربة أسلوب الهجوم بدل الدفاع.
- عدم أخذ الجيش المغربي الحيطة والحذر من العدو الفرنسي حتى أن الفرسان الذين نبهوا حاجب الخليفة لم يخبرهم بذلك، يقول الكردوي في وصف جيش المغرب:"...**ثم مد يد عزمه لقتال أهل المغرب الأقصى وأخذ بثغوره فتوجه لقتال جيش لا معرفة له بحقائق الحروب وأوصافها...وانهزموا جميعا عند اللقاء...وجروا على الإسلام ذيل العار...**"[4].
- عدم أخذ الخليفة محمد والجيش المغربي بالنصيحة التي قدمها لهم الأمير عبد القادر، وعدم السماح للأمير عبد القادر وجيشه بالمشاركة في المعركة حال دون

---

[1] – إدريس خضير: المرجع السابق، ص 205.

[2] – ابن زيدان: **الإتحاف**، ج5، المصدر السابق، ص 71.

[3] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 52.

[4] – أحمد المكاوي: **النظام، الجهاد، الهجرة في مغرب القرن 19**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015 ص 30.

تحقيق النصر، فلو تضافرت الجهود بين الجيشين واتحدت كلمتهم، لكن طغيان الأنانية والاستماع لأقوال الفرنسيين بأن الأمير عبد القادر ضد المصالح المغربية كلفت المغاربة خسارة كبيرة، وألحقت به شر هزيمة تركت آثارا سيئة على المغرب.

ومن النتائج الخسائر المادية والبشرية خاصة في صفوف المغاربة ووقوع الكثير من الجيش أسيرا عند الفرنسيين، الذي يضغط من خلالها الفرنسيين لتحقيق مبتغاهم، وجمع الفرنسيين الكثير من المدن مثل طنجة وموغادير والصويرة، بالإضافة إلى فشل المغاربة في تحرير المدن التي سبق للأسبان احتلالها كسبته[1] ومليلية[2].

تأثر السلطان لما آل إليه الوضع في المدن المغربية وعزوف المغاربة عن فكرة مواصلة الجهاد.

أما بالنسبة للفرنسيين فقد كانت لهم معركة إيسلي بمثابة الورقة الرابحة التي ستمارس بها الضغط المغربي وضرورة طرد الأمير من الأراضي المغربية وتسليمه للسلطات الفرنسية.

بعد يومين من المعركة كتب بيجو رسالة إلى الخليفة محمد لمعرفة رأيه حول الصلح فأجابه هذا الأخير في 18 أوت أن عمله حاليا سيكون الحفاظ على السلام، كما كتب بيجو إلى دينيون يقول:"**أعتقد أنه علينا الآن أن نهمل أي شيء من أجل صياغة معاهدة جيدة تنقد الشروط التي لها بالجزائر والتي تضعنا في موضع مشرف بالنسبة لعلاقات فرنسا مع المغرب...ويمكننا أن نكون كرماء دون ضعف إذ أننا ضربنا بكل قوة**"[3].

نتيجة للضغوطات التي تعرض لها السلطان وتوالي الهزائم، وجد نفسه عاجز على مواصلة الحرب، فقبل بالشروط التي أملتها عليه فرنسا المتمثلة في معاهدة طنجة التي

---

[1] – سبته: تعتبر من أغرق المدن المغربية، كان لموقعها الإستراتيجي ذا حصانة طبيعية دورا هاما في صياغة تاريخها سميت بهذا الاسم نسبة إلى الجمال وهي أول مدينة تأسست بإفريقيا. أنظر، محمود صالح: **أزمة سبته ومليلية بين المغرب وإسبانيا، الدوافع والأهداف**، المجلة السياسية والدولية، الكوري (كلية العلوم السياسية)، جامعة بغداد، ص 143.

[2] – مليلية: إحدى المدن الساحلية بالمغرب الأقصى المطلة على البحر الأبيض المتوسط، تعود تسميتها إلى السكان الأوائل لهذه المنطقة الذين سموها مليلة أي البيضاء تحول اسمها بعد الفتح الإسلامي مليلية. أنظر، محمد المعزوزي وجعفر بنعجينة: **سبته ومليلية حتى لا ننسى**، شركة الهلال العمومية للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 1986، ص 19.

[3] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 146.

أدت إلى قول بات شهير:"**إن فرنسا غنية بما فيه الكفاية لدفع ثمن مجدها**"[1]، فما هي أهداف فرنسا من وراء هذه المعاهدة؟ وما هي النتائج المترتبة عنها.

المبحث الثاني: نتائج الصراع المغربي الفرنسي وردود الفعل

1)معاهدة طنجة:

بعد الهجمات التي تعرضت لها المدن المغربية، والهزيمة التي مني بها الجيش المغربي في معركة إيسلي، خشي السلطان عبد الرحمان من انتشار الفوضى والاضطرابات داخل مملكته، خاصة وأن الشعب المغربي لا يزال يقدم الدعم للأمير، حتى لو كلفه ذلك محاربة السلطان نفسه، لذا فضل الجنوح إلى الطرق السلمية، لحل هذا الخلاف ومنع خطر الزحف الفرنسي على بلاده، إلا أن هذا التصور لم يكن في محله ولن يزيد الطين إلا بلة.

هذا الصلح المتمثل في معاهدة طنجة سيجلب الويل للبلاد شعب وحكومة، فالمعاهدة لم تقتصر على إرغام السلطان الوفاء بوعده والقضاء نهائيا على الأمير، بل تعدت إلى إقصاء النفوذ الإنجليزي لتحقيق أهداف أخرى تسعى إليها عقدت المعاهدة في 10 سبتمبر 1844، حيث أجريت المحادثات بين الجنرال بيجو وسيدي بوسالم، وكان الأمير جوانفيل قد أعد بنود المعاهدة بمدريد، وكانت أهم الشروط التي تناولتها المعاهدة تنص على ما يلي:

- الشرط الثالث الذي نص على امتناع السلطان من تقديم المساعدة والدعم لأعداء فرنسا[2].
- الشرط الرابع يعد الحاج عبد القادر خارج عن القانون، وتلاحقه القوات الفرنسية بالأراضي الجزائرية وتلاحقه القوات المغربية بالأراضي المغربية إلى أن يطرد منها، وفي حالة وقوعه في قبضة الاحتلال الفرنسي يعامل معاملة حسنة، وفي حال وقوعه في قبضة القوات المغربية يتعهد السلطان المغربي بسجنه في إحدى مدن الساحل المغربي، إلى أن تتخذ الحكومتان التدابير اللازمة حتى لا يتمكن في

[1] – بوعلام بسايح: المرجع السابق، ص 52.

[2] – جلول المكي: المرجع السابق، ص 196.

أية حالة من الحالات من حمل السلاح مجددا والإخلال باستقرار الجزائر والمغرب.

كما نصت الاتفاقية أيضا على إجلاء القوات الفرنسية من وجدة وموغادور في حالة تطبيق الشروط(1-2-3-4)، ثم رسم الحدود بين البلدين وتوطيد علاقة المحبة والسلام بين المغرب وفرنسا[1].

وبالرغم من النصر الدبلوماسي الذي تجاوز حلم فرنسا، لم ترض هذه النتائج الجنرال بيجو الذي كان يرى في معاهدة طنجة معاهدة تمهيدية محزنة كونها لا تحمل توقيعه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الماريشال صولت يقول:"**كما لم يقتنع الجيش الفرنسي بها أيضا كونها لم تحقق رغبته في القبض على الأمير عبد القادر وتسليمه لهم مكتوف الأيدي، لكن الفرنسيين قد فاتهم أن السلطان عبد الرحمان لم يكن يستطيع فعل ذلك حتى لو تعهد**"[2].

كان رد الشعب المغربي إزاء المواقف المتخاذلة سيئا واعتبروها مذلة للأسرة الملكية الشريفة وجيشها، وأنه لم يعد مؤهلا لهذا المنصب، ودار نقاش حاد بين الجماعات والأفراد في شأن هذا الموضوع الذي أثار حفيظة الشعب المغربي وغليانهم، حيث عزموا على القيام بالحرب ضده ووصفوه بالضعيف والجبان، ومالوا إلى مبايعة الأمير عبد القادر المعروف بالشجاعة والإقدام والشهامة والسيرة الحسنة، التي ستؤهله لإنقاذ الدولة المغربية من الخراب والاضمحلال[3].

لقد تأثر الأمير عبد القادر مما نصت عليه الاتفاقية خاصة تلك المتعلقة بالحدود وتعاون دولة فرنسا والمغرب على مطاردته على طول الحدود المغربية الجزائرية، والأبعد من ذلك تخلي السلطان عبد الرحمان عن دعمه رسميا وعن الوقوف في صف حركة الجهاد، غير أن وضعه لم يكن ميئوسا منه، كون القبائل المغربية كانت مؤيدة له والسلطان كان يخشى من شهرته لأن عرش فاس كان في قبضته، حتى أنه يعترف فيما بعد في طولون أمام الجنرال دومال يقول:"**لئن كان لم يرغب فيه فذلك فقط لأن دينه كان**

---

[1] – بوعلام بسايح: المرجع السابق، ص 53.

[2] – إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 247.

[3] – إدريس خضير: المرجع السابق، ص 206.

يمنعه من إيذاء ذلك الذي اختاره الله من جهة ولأنه كان يعلم وهو العارف بالمغرب ومختلف قاطنيه أنه كان يحتاج إلى اثني عشرة أو خمسة عشرة سنة من الصراع المتواصل لا ليحكم مثل مولاي عبد الرحمان بل ليحكم بالقوة والقانون"[1].

لما اتصل المغاربة بالأمير وعرضوا عليه تولي عرش فاس ووعدوه بالدعم والوقوف إلى جانبه، رفض بحجة أنه يخوض الحرب من أجل الدفاع عن الوطن والدين الإسلامي وكرامة الشعب وسيادته، وإنقاذ الوطن من الأعداء الذين تركوا أرضهم وجاءوا لاحتلال أرض المسلمين، ورفض الأمير هذا العرض الموجه إليه بالإجماع لأنه لا يبحث عن المكانة والسلطة، ولو كان الأمير شخصا انتهازيا طامعا في الثروة والعرش قصير النظر لقبل بهذا الطلب وبدون تردد، وسعى إلى تحقيق هذا بكل ما يملكه من وسائل[2].

إن بعض المؤرخين المغاربة يثبتون عكس ذلك، فصاحب الاستقصا يقول:" **بعد هزيمة إيسلي ازداد طمع الأمير، ولتدعيم موقفه صار يدعوا أهل النواحي لمبايعته والدخول في طاعته، ثم قام بإرسال جماعة من الحشم وبني عامر شيعته إلى السلطان وقدمهم إليه في صورة هراب مستجيرين بالسلطان"[3].**

لما علم السلطان بالأمر ومدى التذمر الذي أصاب رعاياه، أدرك خطورة الأمر فكتب إلى الأمير عبد القادر يطلب منه الحضور إلى فاس لغرض الزيارة، ظنا منه أن مثل هذه الأساليب والخدع تغيب عن الأمير، فقد سبق وأن فعل هذا سابق مع رسل الأمير الذين أرسلهم الأمير في مهمات عند السلطان الفاشل الذليل، كما خاب ظن رعيته فيه، وعكس صورة الشعب المغربي وأذاقه الذل والإهانة[4].

استطاعت فرنسا أن تتطرق بصورة جدية إلى كل الشروط سوى الشرط المتعلق بمصير الأمير عبد القادر، فظهرت الكثير من الخلافات خاصة موضوع الحدود الجزائرية المغربية التي بقيت بدون حل، ومن أجل الوصول لحل يرضى الطرفين عقد معاهدة أخرى سميت بمعاهدة لالا مغنية[5].

---

[1] – بوعلام بسايح: المرجع السابق، ص 53.

[2] – إدريس خضير: المرجع السابق، ص ص 206–207.

[3] – الناصري: **الاستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 56.

[4] – إدريس خضير: المرجع السابق، ص 207.

[5] – أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**، ج2، المرجع السابق، ص 501.

2)معاهدة لالا مغنية 18 مارس 1845:

لم تكتف فرنسا بالشروط التي سطرتها في معاهدة طنجة سنة 1844، بل ساهمت هذه الأخيرة في فتح الباب أمامها بمطالبة بالمزيد من الامتيازات من خلال التنازلات التي يضمنها له السلطان عبد الرحمان في معاهدة لالا مغنية 1845 التي جاءت لوضع الحدود بين المغرب والجزائر، وتسهيل عملية القضاء على نشاط حركة الجهاد الجزائرية.
وقعت معاهدة مغنية في 18 مارس 1845 في مركز لالا مغنية، وكان من الجانب الفرنسي الجنرال ديلاري، وليون روش، أما الجانب المغربي فمثله بن حميدة قاضي وجدة وأحمد السلاوي[1].

تمكن الوفد الفرنسي من فرض شروطه ثانية على الطرف المغربي الذي لم يتردد في التوقيع على تلك الشروط، وتضمنت الاتفاقية سبع شروط أهمها بقاء الحدود الجزائرية كما كانت عليه تبعا للوثائق العثمانية، وسافر ليون إلى باريس وحصل على موافقة الملك لويس فيليب على بنود المعاهدة لكن عند عودته بلغه أن مولاي عبد الرحمان رفض المصادقة عليها[2].

3)ردود الفعل:

أ) الموقف الفرنسي:

لم تتعرض فرنسا على الاتفاقية كونها تخدم مصالحها، وتضمن لها السيطرة على السلطان وتحقيق الأهداف التي كانت تسعى إليها قبل عقدها، فقد قام ديلاري ببعث رسالة إلى وزير الحربية يقول فيها:"**فالواقع أننا لم نتمكن من رسم حدودنا كما في وقت العثمانيين، بل أننا علاوة على ذلك زدناها وضوحا وتحديدا...وتقسيم الأهالي المسلمين الذين يسكنون هذه المنطقة بين أمير المؤمنين وإمبراطور مسيحي نجحنا في تقسيم الصحراء، وهذا التقسيم لم يكن موجودا من قبل**"[3].

فالمتمعن في تصريح ديلاري يدرك أن هدف فرنسا من وراء هذه المعاهدة ليس القضاء على الأمير وحركة جهاده، فحسب إنما السيطرة على المغرب الأقصى بأكمله.

---

[1] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 47.

[2] – نفسه، ص ص 48–49.

[3] – جلال يحي وآخرون: المرجع السابق، ص ص 206–207.

ب) موقف سلطان المغرب:

قابل مولاي عبد الرحمان اتفاقية لالا مغنية بالرفض كما رفض المصادقة عليها لأنها تعتبر إهانة له ولكرامته، وتسيئ إلى مصالحه الاقتصادية، وتخالف قوانين الشرع الإسلامي، فقام بكتابة رسالة إلى عامله بوسلهام بن علي ينفي ماقام به المفاوضان المغربيان وأنهما تعرضا للخديعة والرشوة من قبل المفاوضون الفرنسيون، فرسالة التفويض نصت على أن تبقى الحدود كما كانت عليه في القديم(أيام الحكم التركي للجزائر)[1].

كما يتطرق في رسالته إلى الملحق التجاري الذي أرفق بالاتفاقية فيقول:" **وزادوا مع ذلك مجاراته في أمر البيع والشراء بين الإيالتين بما لم نأذن لهم فيه ولم نعرج عليه**" ولم تتوقف المسألة عند هذا الحد، بل قام السلطان بكتابة ظهير رحماني في 30 مارس 1845 إلى عامله بوسلهام يخبره فيه برفضه للاتفاقية يقول:" **فاعلم أننا عملنا من أول وهله، فأسرع مباشرة الأمر على الكيفية التي قدمنا لك، ولا نال جهدا في فسخ ما عقد الطماعان الساقطا الهمة ولكن الطمع يعمي ويصم والسلام**"[2].

تعود أسباب رفض الاتفاقية إلى عدم احترام الحدود التي كانت أيام الحكم العثماني للجزائر، وتجاوز المفاوضات للأوامر التي أمر بتنفيذها من قبل السلطان، كذلك إرفاق الاتفاقية بملحق تجاري والذي سيؤدي إلى فتح نفس الطريقة بينه وبين إسبانيا وانجلترا فتستفيد هذه الدول من الأسواق المغربية دون أن تدفع تكاليف تجارتها[3].

أما ليون روش فيرى أن سبب رفض السلطان المصادقة على المعاهدة يرجع إلى تدخلات القنصل الإنجليزي بحجة المس بمصالح بلاده، إضافة إلى رذوخ السلطان إلى احتجاجات الأمير الذي كان يراسل أصدقائه بالبلاط الملكي باسم القبائل المغربية[4].

لما علمت السلطات الفرنسية بموقف السلطان من الاتفاقية سارعت إلى السيطرة على الموقف من خلال الضغط على السلطان، فقد قام ديلاري ببعث ليون روش إلى طنجة في 12 ماي 1845 من أجل بحث المسألة مع المسئولين المغاربة، فكلف بوسلهام

---

[1] – إسماعيل حامت: المرجع السابق، ص 74.

[2] – محمد سعيد القاصري: المرجع السابق، ص 151.

[3] – نفسه، ص 152.

[4] – يوسف مناصرية: الرجع السابق، ص48.

بالتفاوض مع روش، والذي اقترح على الجنرال ديلاري بث دعاية تقول أن الملك الفرنسي لم يوقع سوى على مشروع مسألة الحدود، ورفض الاتفاقية التجارية وأجلها إلى ما بعد مراجعة بنود المعاهدة، ولم تكن هذه سوى خدعة من ليون روش ليضمن مصادقة السلطان على مشروع وضع الحدود بين الجزائر والمغرب، وتنفيذ ما تعهد به ضد الأمير وقبائل المغرب الريفية.[1]

نتيجة للوضع السائد وبعد ضمان توقيع المعاهدة من طرف السلطان بعث برسالة إلى وزير الحربية يقول:" **ومعاهدة لالا مغنية ليست مجرد اتفاقية الحدود بل هي في نفس الوقت معاهدة مبادئ تضع الأهالي المسلمين بين أمير مسيحي وسلطان المغرب وتضع إمبراطورية الجزائر على نفس قدم المساواة مع إمبراطورية الغرب، وتعترف للفرنسيين بحق تتبع الأمير داخل الصحراء الغربية**".

كما كتبت الصحف الفرنسية عن النصر الذي حصدته فرنسا من وراء هذه المعاهدة في جريدة ديبا قائلة:" **ولكن تعترف بأن سيادتنا تمتد في الصحراء الكبرى بتحديدها في هذا الجزء من البلاد المعروف باسم بلاد البنادق، وقصور العقال والعيون التي تخضع لنا والقبائل التي تخضع لإمبراطوريتنا**"[2].

قام ديلاري بإرسال كتابين الأول للسلطان والثاني إلى عامله بولسهام يبدأه بالعلاقة الجيدة التي تربط البلدين والسبب الذي جعله يراسل البلاط الملكي مما جاء فيه: " **وسبب الفساد الواقع بين الدولتين إنما نشأ عن حلول الحاج عبد القادر بقرب الحدود، ولا يخفى لكم أنه أصل فساد وعنه ينشأ، وبفساده تنتقض المحبة المعقودة بين الدولتين وهو الآن نازل ببلد قلعية وتراهم في ضيافته وإعانته هو سائل دائرته وما ذلك إلا من كذبه على القبائل بالتمربيط والجهاد يختلهم به بلا طاقة...**"، كما بالغ في وصف الأمير بأوصاف لا تليق بمقامه:" **إنما سعيه في إفساد رعية المغرب وهذا الحال لا يخفى على سعادتكم وفيه خطر كبير للدولتين**"[3].

---

[1] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 49.

[2] – جلال يحي وآخرون: المرجع السابق، ص 215.

[3] – ابن زيدان: **الإتحاف**، ج5، المصدر السابق، ص 202.

وجاء في آخر الرسالة طلب التعاون من الملك مع فرنسا للقضاء على الأمير في تحقيق مصلحة الدولتين وأمنهما: "**وجب علينا إزالة هذا المرض خوفا من زيادته...وبينت لكم كل الفساد الذي يصدر من الحاج عبد القادر...وتبذل مجهودك في إزالة عبد القادر لأنك ألزمت نفسك بذلك بواسطة الشرط الرابع من شروط الصلح الذي انعقد ووافقتم عليه بطابعكم**"[1].

جاء في ختامة رسالته أن يبعث بسفارة إلى باريس لبعث أمور العلاقات الفرنسية المغربية وتمتين أواصر المحبة والسلام بين البلدين، وهو ما تم فعلا حيث قام السلطان بإرسال السفير المغربي الحاج عبد قادر بن محمد أشعاش إلى باريس بصحبة ليون روش خلال شهر ديسمبر 1845، ودامت رحلته سبعة أسابيع كاملة حمل من خلالها رسالة من سلطان المغرب إلى ملك فرنسا لويس فيليب[2] من بين ما جاء فيها:" **فإن المراسلة بين الدول والمواصلة بين الملوك الأول تفتح للمودة أبوابا وتسير للمواصلة أسبابا وتزيد الودودا والعناية تجديدا وتزرع حب الحب في القلوب، وتقرب البعيد وتيسر المطلوب**" ومن بين أهم الأمور التي قيد بها السلطان سفيره هو إبطال شرط متابعة الأمير عبد القادر وإراحة السلطان من مسؤوليته[3].

لقد استقبلت السفارة المغربية أحسن استقبال وأقيم لها احتفال على شرفها حيث صرح السيد أشعاش قائلا:" **لو شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا وأرقت دمي لينهل منه، فإن ذلك سكون ضئيلا جدا، إذا ما رأيت أن أبرهن للجميع على ما مدى ما يغمر قلبي من الاعتراف بعطف سلطان لفرنسيس الأعظم**"، وقد ساهم هذا الاهتمام بتغيير موقف السلطان لصالح فرنسا من خلال رده على الرسالة التي كتبها إليه لويس فيليب:" **سنكون معكم على ما كان عليه أسلافنا وأنتم جيراننا لكم علينا حفظ الجوار...وأننا مستعدون لقضاء شؤونكم**"[4].

---

[1] – ابن زيدان: المصدر السابق، ص ص 202–203.

[2] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 80.

[3] – ابن زيدان: المصدر السابق، ص 210.

[4] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 80.

وما يمكن أن نستنتجه هنا أن فرنسا نجحت من فرض سلطانها وبسط نفوذها على سلطان المغرب والظهور بمظهر القوة أمام الدول، كما نجحت في إقناع سلطان المغرب بمساعدة ليون روش الذي نجح في استمالة الطرف المغربي ضد حركة جهاد الأمير عبد القادر.

ج) موقف قبائل المغرب الشرقي:

لقد كان رد هذه القبائل ساخطا جدا كون الاتفاقية مست بهويتها وشرفها ومن أبرز هذه القبائل أولاد جرير، وذوي منيع، وأولاد سيدي الشيخ[1]، وبني يزناسن والدليل على رفضهم جاء في رسالة السلطان إلى عامل تيطوان يقول:" **وقد ورد علينا أولاد سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا وسألوا عن رسم الحدود فوجدوا فيه تناقضا، فلهم قصور بها وبها أصول وأجنتهم ومحل خزن أمتعتهم وأضافوها لأيالة الترك وهو الأبيض وبوسماعون وشلالة وكذلك تيوت فبوصول كتابنا هذا إليك كلمهم في هذه البلاد أن يسلموها**"، وقد عبرت هذه القبائل عن رفضها للاتفاقية من خلال الهجمات اليومية والاشتباكات مع القوات الفرنسية[2].

رأت قبائل المغرب الشرقي في تلك الالتزامات الرسمية مسالمة ومهادنة لفرنسا، ولم نلتزم بها ويمكن إنتاج أسباب الرفض من خلال ما يلي:

- تمت الاتفاقية في ظروف غامضة طغى فيها رأي فرنسا القوي على حساب الرأي المغربي الذي اكتفى ولم يكن له رأي فيها.
- المصادقة على الاتفاقية لم تكن نزيهة ونلمس هذا من خلال الرشوة التي قدمت لممثلي السلطان والمعاملة الخاصة التي عومل بها سفيره أشعاش في باريس[3].

---

[1] – ينحدر أصلهم من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق تنقلت أسرتهم من مكة المكرمة إلى كل من مصر، تونس المغرب الأوسط، تحت قيادة سيدي معمر الذي قادها إلى بلاد بني عامر، غادر البعض منهم المنطقة فاستقروا بفقيق حيث شكلوا وحدة جغرافية وروحية عبر التخوم الجزائرية المغربية وأعلنوا ولائهم لحركة الجهاد الجزائرية، هجم عليهم النفوذ الفرنسي عقب اتفاقية 1845، وقسمتهم إلى(الشراقة والغرابة). أنظر، محمد السعيد القاصري:المرجع السابق، ص 155.

[2] – محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 156.

[3]– يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 80.

- دور ليون روش من خلال النشاط الدبلوماسي الذي كان يمارسه لإقناع سلطان المغرب بالموافقة على الاتفاقية، والغريب في الأمر أنه وثقة به رغم أنه خان الأمير عبد القادر من قبل.

نستنتج مما سبق أن سياسة فرنسا نجحت في إضعاف حركة جهاد الأمير عبد القادر خاصة بعد مجيء الجنرال بيجو، رغم ذلك لم تتخلى قبائل المغرب الشرقي عن الجهاد مع الأمير عبد القادر ضد فرنسا من الأسباب التي ساعدته على مواصلة جهاده.

انهزام الجيش المغربي في معركة إيسلي دفع سلطان المغرب إلى تغيير موقفه ضد حركة جهاد الأمير خاصة بعد مصادقته على اتفاقية طنجة، كما أثرت مسألة تعيين الحدود على الأمير أكثر من المملكة المغربية لأنها عرقلت تحركاته وتطويقها بسبب تمركز الجيوش الفرنسية على الحدود، واعتبرت معاهدة لالا مغنية مكسب قوي لفرنسا ووضع سلطان المغرب تحت الأمر الواقع وهو أن أراضيه ستكون محطة تعاون بينه وبين فرنسا ضد حركة جهاد الأمير.

المبحث الأول: إستراتيجية فرنسا والمغرب في القضاء على الأمير عبد القادر

1) تحريض القبائل المغربية ضد الأمير عبد القادر:

بعد انهزام السلطان عبد الرحمان أمام القوات الفرنسية في معركة إيسلي 1844، وإبرام معاهدة صلح بينهما، شعر السلطان بمدى خطورة الوضع الذي آل إليه المغرب، خاصة وأن فرنسا أصبحت تهدد باحتلال أراضيه وعليه قرر إتباع إستراتيجية جديدة وهي مطاردة الأمير عبد القادر وإخراجه من الحدود المغربية نهائيا.

لقد قام السلطان عبد الرحمان في بادئ الأمر بتوجيه رسالة إلى الأمير يطالبه بالانسحاب من الأراضي المغربية أو التوجه إلى فاس وتسليم نفسه إلى السلطان، لكن الأمير رفض طلبه لأن همه الوحيد هو الجهاد في سبيل الله والوطن، واستخدام الأراضي المغربية كملجأ له لمواصلة الكفاح.

من الوسائل التي اعتمدها السلطان المغربي ضد الأمير هي تشويه سمعته أمام القبائل المساندة له، لأنه كان يخشى ردة فعل تلك القبائل التي غضبت كثيرا إزاء خسارته أمام القوات الفرنسية وتوقيعه لمعاهدة لالا مغنية بشروطها المذلة، وبدؤوا يطالبون بالأمير سلطانا عليهم لأنهم كانوا يثقون فيه كثيرا، إذ وجه عدة رسائل إلى قبائل بني يزناسن وأهل أنكاد بغرض تحريضها ضد الأمير مما جاء فيها:"...**أن ذلك الفتان جر البلاء لأهل الواسطة حتى جرأ عدو الدين عليها...وكسر شوكة أهلها وزادهم انحياشا للكفر وتوغلا في الشر، بإجلابه عليهم، ونهب ما أبقت لهم الفتنة من أموالهم وحكم فيهم بحكم الطاغوت من استحلال الدماء والأموال وانتشار الفساد إلى العيال، فإذا ظهرت له بارقة من الكفار لجأ إلى حوزكم، واحتمى بكم وجعلكم حجابا بينه وبينهم ليجر لكم الفتنة والوبال، ويرميكم كما رمى من قبلكم بالمحنة والخبال...**"[1]. وفي قول آخر:"...**واطلعنا على نواياه الدفينة وحساباته الماكرة التي تتنافى والشريعة**

[1]- عبد الرحمان ابن زيدان : **إتحاف أعلام الناس**، ج5، المصدر السابق، ص 78 وما يليها.

السمحى..."[1]، ويقول أيضا:"...وما مراده ألا إثارة الفتنة والفساد، وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لإيالة الجزائر وغيرها حتى أوقعهم في الكفر والعياذ بالله..."[2].

أما فرنسا فهمها الوحيد هو تحطيم العلاقة الودية التي جمعت بين بلدين مسلمين، وقامت بإرسال جاسوسها ليون روش إلى المغرب، ولما ضمنت عداء السلطان عبد الرحمان للأمير بدأت تعمل على محاصرته داخل التراب المغربي ومضايقة السلطان، وخلق هوى بينه وبين الأمير، أرسله الملك الفرنسي لويس فيليب في 12 ماي 1845 إلى طنجة لبحث مسألة الحدود[3].

بدأت فرنسا بنشر أفكار هدامة ومفرقة بين المسلمين وأنصار الأمير هدفها إخراجهم عن طاعته، أما السلطان فتح الباب على مصراعيه للغزاة الفرنسيين من أجل إفشال مقاومة الأمير لأن خوفه على العرش الذي أصبح على وشك الانهيار جعله ينسى كل ما قام به الأمير من أجله[4].

كان السلطان المغربي يساعد فرنسا لأنه عندما يجد فرق من جيش الأمير يأسرهم ويسلمهم للفرنسيين دون أن يشعر بالأسف لذلك، وقام بإرسال زنجي لقتل الأمير بالخنجر إذ وجد الأمير في خيمته يقرأ لكن هذا الأخير لم يستطع القيام بذلك [5].

أرسل السلطان عبد الرحمان إلى عماله بالمغرب الشرقي رسالة مفادها ضرورة طرد الأمير من المغرب وبصفة نهائية:" **وما يطلبون من طرد الحاج عبد القادر من إيالتنا السعيدة فتحمل لهم به وقل لهم إن فلانا قد أمر بطرده المرة بعد المرة وكرر الكتب بذلك يجد في طرده..."**[6].

---

[1]– إسماعيل حامت: **الحكومة المغربية واحتلال الجزائر**، المرجع السابق، ص 126.

[2] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 589.

[3] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 47.

[4] – نفسه، ص 47.

[5]– إدريس خضير: المرجع السابق، ص 219.

[6]– محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 174.

كان الأمير دوما في رسائله يثبت للسلطان احترامه وولائه، وأنه لم يلجأ إلى أراضيه بغرض التوسع فيها وإنما طلبا للحماية، وهذا ما جاء في رسالة السلطان عبد الرحمان إلى بوسلهام عامل طنجة في 30 جانفي 1845"...**وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك وجه كتاب الحاج عبد القادر بن محي الدين كنا وجهنا لك لتصالح ما التزم به بأنه لا يتحرك شيء مما يوجب نقض الصلح مع العدو الكافر فقد ظهر من أتباعه بعض ذلك وأردنا إقامة الحجة عليه**"[1].

وجه السلطان رسالة أخرى إلى بوسلهام يحرضه ضد الأمير باعتباره نقض ما تعهد به للسلطان:" **إن السيد عبد القادر نقض ما كان عاهد الله عليه من عدم إحداث شيء في جانب أعداء الدين إمضاء للصلح الذي أبرمناه له، وقد رام استهواء تلك القبائل وما ولاها**"، ثم أمره بتجهيز الجيش لطرده في قوله:" **فبوصول كتابنا هذا إليك عين مائة فارس من الجيش الريفي تنهض صحبة خديمنا القائد محمد بن عبد الصادق بقصد نقض ما يبرمه وحل ما يعقده مع تلك القبائل**"، وقام بوسلهام بإرسال خطاب إلى ممثل فرنسا يوم 18 ديسمبر 1845 مما جاء فيه: "**إنكم تذكرون لما فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد القادر، إن هدفه هو التآمر ومحاربة هذه السلطنة**"[2].

وفي خطاب آخر وجهه ابن إدريس إلى الجنرال ديلاري يوم 25 أوت 1845 يؤكد فيه دواعي هذه السياسة ومما جاء فيها:" **أن سيدنا لا يرفض أبدا أن يرسل جيشا لمحاربته علنا ولكن التفكير في المحبة والإخلاص الذي حصل عليها عند هذه القبائل يجعله يخشى من نشأة تعقيدات خطيرة، إذ أنهم لم يتخلوا عن رجل طلب إليهم اللجوء وسيجمعون حوله وسيعودون إلى حمل السلاح ضد السلطان الحقيقي ويضاعفون من إخلاصهم لعبد القادر الذي سيصل بهذه الطريقة إلى مبتغاه**"[3].

[1]- محمد سعيد القاصري: المرجع السابق، ص 174.

[2]- جلال يحي و آخرون: المرجع السابق، ص 225.

[3]- نفسه، ص 227.

رأى السلطان أن الصلح مع الفرنسيين هو أفضل حل للأمير والجزائريين في قوله:"**ولو رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه فلا يفيدكم إلا ذلك، فاسألوا أهل العلم وما ورد في صحيح البخاري ومسلم في فضل الجهاد وأحكامه والصلح وأقسامه، ليعلم حال عبد القادر وجهله بالسنة وغيرها وإن من تبعه قد باء بالضلال وحاد عن شريعة الهدى**"[1]، وفي قول آخر:"**تسأل الله أن يدمر الكافرين، ويجعل كيدهم في نحرهم ويكفينا أمر هذا الفتان الذي كلما خمدت نيران الكفر أوقدها وجر الوبال للمستضعفين**"[2].

لقد نجحت السلطات الفرنسية في شحن ذاكرة السلطان والقبائل المغربية ضد الأمير وفي أواخر جانفي 1846 استقبل السلطان سفيره العائد من باريس قائلا:" **أقسم بأنني سأطرد عبد القادر، سأقبض عليه أو أقتله، ولن أتردد بعد اليوم بين مسلم عدو لي أو نصارى أصدقاء**"[3].

قام السلطان عبد الرحمان بتعيين محمد بن عبد المالك المعروف بابن عبوا[4] عاملا على الريف خلال شهر فيفري 1846، وهدفه هو محاصرة القبائل المساندة للأمير عبد القادر وإثر وصوله شرع في العمل فورا ضد أنصاره المهاجرين الجزائريين، وعزل الجيلالي بن العواد قائد الجيش المغربي بالناحية وتعيين مولاي إبراهيم ابن عم السلطان مكانه، عجز ابن عبوا في فرض سيطرته عليها، وأمده السلطان بالمزيد من القوات العسكرية[5].

عملت السلطات المغربية على تشتيت المهاجرين الجزائريين حيث ساهمت بدعم من الفرنسيين ومحاصرة الأمير عبد القادر خاصة بعد عودته إلى المغرب الشرقي سنة

---

[1]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ج1، ص 591 وما يليها.

[2]- محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 177.

[3]- ياسين إبراهيم: المرجع السابق، ص 353.

[4]- باشا طنجة كان رجلا فقيرا كثير العيال وكان يتقاضى أجرا ضئيلا فاغتنم نفوذ منصبه ولجأ إلى جمع المال من الأهالي فتحسنت وضعيته المالية في طنجة، ولما عينه السلطان على إقليم الريف ساءت حالته فاشتكى ذلك إلى قنصل فرنسي في طنجة وكان روش مطلعها على ذلك فساعدته هذه المعلومات على تنفيذ عملية الرشوة. أنظر، يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 80.

[5] - محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 178.

1846 وكنتيجة لذلك تقلص عدد الدائرة، وهاجرت بعض القبائل المناصرة للأمير إلى فاس وعاد أعيانها إلى الجزائر، ووجد الأسرى الفرنسيين قد قتلوا.

لما تأكدت فرنسا من موقف السلطان الصارم كتب جيزو[1] يوم 23 أوت 1846 إلى وزير الشؤون الخارجية ما يلي:" **إنني أعتقد إننا قد توصلنا أخيرا إلى تحريك سلطان المغرب الكسول أن قلقه يظهر أمام الجميع من الأوامر المتعددة التي يصدرها في كل ناحية ومن البلاغات التي يرسلها إلى شرق سلطنته إنني أعتقد أن الوقت يقترب من حل وعلينا أن نأمل بشدة في أن يتم ذلك دون أن نجبر على التدخل الفعلي للحدود**"[2].

وبذلك تكون فرنسا قد تمكنت من توظيف ورقة عبد القادر وخطره على العرش المغربي وقد انطلت الحيلة على السلطان حسب الرسالة الموجهة إلى ولي العهد المغربي:"**ولا تقصر في تحريض العمال المقاتلين والقبائل على توصيل هرده وإبطال كيده...وذكرهم عاقبة مكره وما يضمر من نكده ولا تألوا جهدا في ذلك حتى يأخذه الله ويرده كبده في غره، ويجعل دائرة سوء عليه فإنه أعدى أعداء المسلمين، وفتنته أكبر عليهم من فتنة المشركين ولا تال جهدافي إمداد المحلة بكفايتها فإنك بذلك تعان على عدوك، فدين الناس لليوم هو الطمع**"[3].

وفي رسالة أخرى يأمره بضرورة اتخاذ جميع التدابير الصارمة ضد الأمير وأن يعلن حربا لا هوادة فيها ضده إذ يقول:"**أما بالنسبة إليكم فاستخدموا كل مجهداتكم ضد المهيج ...وعندئذ تستخلص القبائل من طغيانه، إذ أنه أظهر حقدا مهينا لحكومتنا، ويبحث عن الفرص لمضايقتنا ليخلعنا الله برحمته من هذا الرجل ويفسد أعماله**"[4].

---

[1]- جيزو فرانسوا: (1787-1874)، ولد بفرنسا وتلقى تعليمه الأول بها، شغل عدة مناصب من بينها الأمين العام لوزارة الداخلية سنة 1814، الأمين العام لوزارة العدل(1816-1820)، حضي بمكانة كبيرة لدى لويس فيليب، ساهم بشكل كثير في ترسيخ وجود فرنسا بالجزائر بالطرق السلمية. أنظر، محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 76.

[2]- جلول المكي: المرجع السابق، ص 287.

[3]- إسماعيل حامت: المرجع السابق، ص 143-144.

[4]- نفسه، ص 145.

أرادت الحكومة الفرنسية التقرب أكثر من السلطان عبد الرحمان، باستعمال الجهود الدبلوماسية، وفي 28 سبتمبر 1846 كتب القنصل الفرنسي بطنجة" دي شاستو"إلى ابن إدريس يلتمس منه القيام بزيارة رسمية من الدبلوماسيين الفرنسيين إلى السلطان فوافق ابن إدريس على طلبه، وشارك في هذه البعثة كل من "ليون روش" و "دي شاستو" وحشد كبير من الممثلين للملك الفرنسي لويس فيليب الذي أرسل معه هدية ثمينة إلى السلطان دخلت هذه البعثة الأراضي المغربية يوم 12 ديسمبر 1846، واستقبلت بمدينة مراكش بحشد كبير، وهنا لعب روش دوره باعتباره ذو خبرة في معرفته بالمغاربة وإتقانه اللغة العربية، التقى أطراف البعثة بالسلطان يوم 17 ديسمبر 1846، وشرح له روش رغبة فرنسا في توطيد العلاقة بينهما، وحظوا من خلالهم على مشاعر الود والصداقة من طرف السلطان عبد الرحمان[1].

نستنتج من خلال ما سبق أن السلطان عبد الرحمان أراد استمالة القبائل عن طريق الهدايا والمال، لكن بعض القبائل كبني سناسن وكبدانة والمطالسة، وبني تورين، وقسم من قلعية بقوا تحت تأييد الأمير، ومضاعفة القوات العسكرية من كلى الطرفين(المغربي والفرنسي) لمحاصرة قوات الأمير.

قام الأمير بمراسلة السلطان عبد الرحمان عدة مرات ليبن له أنه لم يأت للأراضي المغربية طمعا به وإنما طلبا للحمية، لكن السلطان أصر على مضايقته ومطاردته، وهذا إن ما يدل إلا على فساد نية السلطان عبد الرحمان[2].

لم يكتف السلطان بتشويه سمعة الأمير، إنما أعلن الحرب ضده وأخذ يضايقه ويحاول شن غارات عليه، ثم قام الأمير بمراسلته في مارس 1847 طلب منه كف القبائل المعتدية وحذره من رفض هذا الطلب قائلا:"**فإني كاتبتكم أولا والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديهم على من تبعني وسوء معاملتهم لهم لأنهم كلهم أولاد دين واحد وشريعة واحدة فلم يأتيني جواب عن ذلك أنا صابر ومتحمل لما يجدونه كراهة**

[1] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 52 وما يليها.

[2] – (أنظر الملحق رقم 03، ص 118.)

سفك دماء المسلمين مدة ستة أشهر فإن لم تردعهم الآن عن أفعالهم إنني ألتزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف أتباعي ولذا بادرت بإخباركم والسلام"[1].

لقد استخدم الأمير عبد القادر كل الطرق السلمية لتجنب الخلاف والمواجهة العسكرية مع السلطان عبد الرحمان، وهذا دليل على نيته في حب الجهاد في سبيل الله وعدم إراقته لدماء المسلمين، والحفاظ على الروابط الدينية والأخوية التي تجمع بين البلدين.

رأى الأمير عبد القادر أن أفضل حل يجب القيام به لتجنب الصراع هو استشارة علماء المشرق والمغرب ليستفتيهم فيما قام به سلطان المغرب وكتب خطابا إلى علماء مصر شارحا لهم الوضع، بقوله:"**...لما استولى أعداء الله الفرنسيون على الجزائر وخلت الأيالة من المنقذ وانقطعت السبل وطالت شوكة الكافر اجتمع ذووا الرأي وتفاوضوا على أن يقدموا رجلا منهم يؤمن السبل... فاختاروا رجلا منهم وقدموه لذلك فتقدم وعمل جهده فيما قدموه له بسلطان المغرب قام بالأفعال التي تقوى حرب الكافر الإسلام وتضعفنا وأضر بنا الضرر الكثير ...فأول ما فعل بنا أننا لما كنا حاصرنا العدو الكافر في جميع ثغوره نحو ثلاث سنين وقطعنا عليه السبل... يفرون، فإذا بالسلطان يمده في مدة الضيق الشديد بألوف من البقر وغيرها، والثاني أنه غصب من عاملنا ألف وخمسمائة بندقية انجليزية، والثالث، أنه غصب من وكيلنا أربعمائة كوة جوخ أعددناها للمجاهدين، والرابع، أن بعض المحبين في الله ورسوله من رعيته قطع قطعة من الخاص به لعين به المجاهدين فإذا بالسلطان المذكور يزجره وينزعها منه ويقول له أنا أحق بها، والخامس، أن بعض القبائل من رعيته عزموا على إعانتنا بأنفسهم في سبيل الله فمنعهم من ذلك وأعاننا آخرون من رعيته عزموا بسيوف في سبيل الله فحبسهم إلى الآن زجرا وردعا لغيرهم، والسادس، أنه لما وقعت لهذا السلطان مقاتلة مع الفرنسيين أياما قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيين ألا يتم الصلح بينهما إلا إذا حل أمر هذه العصابة المحمدية المجاهدين منه أو يجليه من المغرب،...ثم أمرني بترك الجهاد فأبيت لأنه ليس له على ولاية ولا أنا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيل**

[1]- محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 566-567.

حتى هام جوعا من لم يجد صبرا وأسقط من المجاهدين ركنا ثم أخذ يسعى في القبض علي فحفظني الله منه ولو ظفرني لقتلني أو لفعل بي ما اشترطه الفرنسيون ثم أمر بعض القبائل من رعيته أن يقتلوا ويأخذوا أموالنا وكأنه استحل ذلك فأبوا جزاهم الله خيرا ولقد سفه جميع المغاربة أفعال سلطان المغرب"[1].

لقد أجاب عن هذه الأسئلة الشيخ عليش وهو محمد بن أحمد بن محمد بن عليش، أبو عبد الله(1217-1299هـ/1802-1882م) فقيه مغربي الأصل ولد بالقاهرة وتعلم بالأزهر الشريف وولي مشيخة المالكية فيه، بقوله:"...**وما كان يخطر ببالنا أن يصدر من مولانا السلطان عبد الرحمان وفقه الله تعالى مثل هذه الأمور مع مثلكم فإن للهوإنا إليه راجعون وما قدر الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون خصوصا وأنتم جسر بينه وبين عدوه إلى أن قال...وإن شق العصا وأتاكم بجيشه وجب عليكم قتاله وجوبا عينيا إذ هو حينئذ العدو والبغاة والمستغلين الفاجئين القاصدين الأنفس والحريم لعدوانه وتجاريه على ما أجمع المسلمون على تحريمه وهو أنفسكم وحريمكم وأموالكم ومتعكم مما هو متعين عليكم، بالإجماع من جهاد الكفار الفاجئين لكم والمقتول منكم في قتاله كالمقتول في قتال الكفار ليس بينه وبين الجنة إلا طلوع الروح، فصمموا على قتاله وأعدوا له ما استطعتم من قوة نصركم وخذل كل من عاداكم وخذلكم كائن من كان وجعل كيده في نحره"[2].**

وما نستخلصه هنا أن الأمير عبد القادر أراد أن يرد على التهم التي وجهها له السلطان عبد الرحمان بفتاوى شرعية، لأن السلطان كان يريد أن يثبت للشعب المغربي والجزائري أن الأمير عبد القادر فتان وخارج عن الدين همه هو إراقة الدماء والاستحواذ على ممتلكات المغرب والفقراء والمساكين، وأن هدفه الوحيد من دخوله المغرب هو طمعه به وبأراضيه وكان الأمير يريد لفت انتباه العرب لهذه القضية التي أصبحت تزيد تعقيدا بعد تغير موقف السلطان من الأمير، وكسب تأييدهم.

---

[1]- مسعود مجاهد: **تاريخ الجزائر الحديث**، الجزائر، 1981، ج1، ص 345 وما يليها.

[2]- نفسه، ص347.

2) تطور المواجهة العسكرية بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان:

أمام إصرار السلطان عبد الرحمان على تصفية حركة الجهاد بالمغرب الشرقي، وتمسك الأمير عبد القادر بمواصلة الجهاد ورفضه الخروج من الأراضي المغربية، بالإضافة إلى الضغوطات التي تمارسها السلطات الفرنسية على السلطان لم يبق خيار أمام الطرفان سوى التصادم العسكري وهذه المواجهة أصبحت حتمية ظهرت في مدة سبعة أشهر وشهدت خمسة وقائع(معارك)، أثرت سلبا على كلا الطرفين فما هي حيثياتها؟ وما هي نتائجها؟

أ) معركة تافريست*(الأسباب والنتائج):

- **الأسباب:**

يمكن تقصي أسباب هذه الواقعة في ما يلي:

- قامت القبائل المغربية(المخزن) بمهاجمة قبائل الأحلاف للدائرة بأمر من قائدها واعتدوا على قوات الأمير بقيادة الخليفة البوحميدي، وقاموا بنهب إبلهم وغنمهم وقد راسل الأمير عبد القادر قائدهم للكف عن هذه الأعمال ضد إخوانه في الدين ولكنه لم يهتم بهذه المراسلات[1].
- مهاجمة القوات المغربية لجيش الأمير بأمر من السلطان وبضغط من فرنسا، إذ يقول السلطان:"...**فها نحن أمرنا خالنا الأمجد بزيان بالقيام على ساق الجد في إخراجه ودائرته من إيالتنا السعيدة طوعا أو كرها وحسم مادة فتنتهم وضلالهم فكونوا...يدا واحدة وشدو عضده على ذلك...**"[2].

---

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 589.

*تافرسيت: اسم لمكان على الحدود المغربية الجزائرية يبعد بنحو مسافة مرحلة عن الدائرة وقعت فيها الحركة التي شنها الأحمر ضد الأمير. أنظر، عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص 225.

[2]– محمد بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 589.

- إصرار المغاربة على القتال رغم مكاتبات الأمير إلى السلطان المغربي من أجل حقن الدماء وطلبا للسلم مع إبداء حسن النية وسلامة الطوية نحو حكومة المغرب والشعب المغربي[1].
- الغضب الكبير الذي انتاب السلطان عبد الرحمان عندما سمع أن أهل فاس قاعدة مملكته وغيرهم من أهل القاصية بعثوا إلى الأمير يدعونه إلى الاستيلاء على بلادهم وأخذهم بنصرته[2].
- أخذت بعض القبائل الشرقية تنسحب عن دعم الأمير مثل بعض قبائل قلعية وبني توزين وكزيانة وبني سعيد والمطالسة، لأنها اقتنعت بمواقف السلطان وبأنه الوحيد الذي له الحق في إعلان الجهاد، أو تركه وأصبح البعض منهم يقوم بمضايقة الدائرة ونهب ماشيتهم وهذا ما ساهم في تفكيكها وانتقال عدد من أنصار الأمير وأقسام من الحشم وبني عامر إلى نواحي فاس واستقرارهم في أراضي فلاحية قرب سبو[3].
- إصرار القائد الأحمر على إخراج الأمير ودائرته من المغرب أو قتاله، ورفضه لالتماس الأمير باستحالة الخروج نحو الصحراء بسبب وجود أناس عجزة.

حيثياتها:

- قام السلطان عبد الرحمان بإصدار أوامر إلى عامل تازة بوزيان بن الشاوي وعامل وجدة حميدة الشجعي بتجهيز قواتهما وقوات قبائلهما لمواجهة الأمير، كما التحقت بهما قوات إضافية من فاس برئاسة ابن عم السلطان مولاي إبراهيم بن عبد المالك، وقام السلطان عبد الرحمان بن هشام بتجهيز قائده الشهير الأحمر[4] في

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج4، المرجع السابق، ص ص 225-226.

[2]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 317.

[3]- محمد أمطاط: المرجع السابق، ص ص 62-63.

[4]- الأحمر محمد بن سالم المالكي شيخ بني مالك كان من كبار الأبطال، ووجهوه العمال للنظر في شأن الأمير عبد القادر والقبض عليه.

عسكر كثيف لقتال الأمير عبد القادر وإخراجه من البلاد، وفي هذه الفترة وصل إلى الأمير مولاي عبد الرحمان بن سليمان سلطان المغرب الأقصى سابقا ليكون في حملته، ولما بلغ خبر الأحمر عند الأمير استعد بكل قواته ليواجهه ويحمي بلاده، وكان الأمير في تلك الفترة مخيما بين أرض بني توزين والمطالسة من قبائل الريف، وكان القائد الأحمر قد خيم بتافريست وأرسل الأمير إلى القائد الأحمر يدعوه إلى المسالمة إلا أن هذا الأخير رفض وأصر على القتال[1].

- قام الأمير عبد القادر باختيار مائتي فارس من فرسانه، وسار بهم غازيا على العدو وهو في تافريست واستولى على معسكر بما فيه وهجم بعض رؤساء جيشه على القائد فقتله، ونقلوا بحريمه وأولاده إلى الدائرة، وأخذ ما كان في المعسكر من ألبسة والأدوات الحربية التي قدرت بألوف من الليرات[2].
- بلغ عدد القوات المخزنية 9000 مقاتل بينما لم يكن يتوفر لدى الأمير إلا على 1500 فارس و400 من مشاة، والمعركة لم تكن مباشرة وجه لوجه ومرد انهزام المغاربة هو الفوضى والاضطراب الذي حل بها[3].

- **نتائجها:**

- انهزام الجيش المغربي ومقتل القائد الأحمر، واستولى جيش الأمير على محلة الأحمر وما احتوته من المتاع والخيام والألبسة الفاخرة والأموال.
- خيبة أمل كبيرة بالنسبة للمغاربة، واهتز المغرب الأقصى لهذه الواقعة، وزاد تعاطفهم مع الأمير عبد القادر، ونقموا على سلطانهم لأنه أرسل جيوش لقتال مسلمين التجئوا إلى بلاده طالبين حمايته من عدوه وعدوهم وسموه بالسلطان المشئوم[4].

---

[1]- عبد الرحمان ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس**، ج5، المصدر السابق، ص 75.

[2]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص319.

[3] - سلاماني عبد القادر: المرجع السابق، ص 170.

[4] - إسماعيل حامت: المرجع السابق، ص 102.

- بعد مدة أرسل الأمير عبد القادر حريم الأحمر وأولاده إلى فاس بعد تعيين حراس لنقلهم تحت قيادة أبي عبد الله محمد السقاط.
- اعتذر الأمير لدى السلطان المغربي وأرجع له المحلة وما احتوته من كنوز، لكن رد فعل السلطان كان عنيفا على قبائل الريف ويتضح ذلك من خلال رسائله إلى عماله، ففي 18 جوان 1847 كتب إلى ابنه يصف له ما حدث:"**وعلمنا ما صدر من الغادر الناكث عبد القادر أهلكه الله بقدرته وأخذه بحوله وقوته**"، وفي قول آخر يحذر ابنه من القبائل الريفية:"**أن القبائل الريفية ذوات عدة وعدد وبأس شديد مع كثرة الغدر والإبقاء للمكر إنما العهدة على هؤلاء المترابطة الذين سعوا في هذا وخدعوك بالأخبار بغير واقع**"[1].
- اعتبر السلطان عبد الرحمان أن واقعة تافريست بمثابة نكبة على بلاده حيث قال:...**وقد كانت النصارى بوجدة أخف لأن النصراني فعل ما فعل ورجع أدراجه وهذه الواقعة هي الطامة لظهور هذا الشيطان**..."، وقام بإرسال قوة عسكرية إلى تازة في أواخر شهر جوان 1847 من أجل معاقبة القبائل المساندة للأمير وتقديم هدايا وأموال إلى زعماء القبائل لإبعادهم عن الأمير عبد القادر وجعلهم كالشوكة في حلق الأمير، واتباع إستراتيجية الجوسسة واللجوء إلى الحيلة في التعامل مع القبائل المغربية حيث استعانوا بليون روش في تطبيق ذلك[2].

ب)معركة قلعية (الأسباب والنتائج):

أسبابها:

تعتبر معركة قلعية من المعارك الشرسة التي خاضها الأمير عبد القادر ضد قوات السلطان المغربي ومن أهم أسبابها:

- إصرار السلطان عبد الرحمان وقبائل المخزن على مضايقة الأمير والدائرة.

[1]- نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص123.

[2]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 155.

- استغلال غياب الأمير عبد القادر عن الدائرة لأنه كان في تلك الفترة بمكناسة واعتبروها فرصة للقضاء على الدائرة وعلى الوجود الجزائري في المغرب.
- قام أهالي قلعية بغارات على دائرة الأمير النازلة بالقرب من قبيلتهم، وقاموا بأعمال النهب والسلب.
- لقد مرت هذه المعركة بمرحلتين الأولى كانت في جويلية 1847، والتي أشار إليها السلطان من خلال قوله:"**وعلمنا ما ارتكب الفتان، أهلكه الله من نزوله على قلعية حتى ردوا ما كانوا نهبوا لأصحابه ووظف عليهم الذعيرة زيادة على ذلك**"، والمرحلة الثانية فلقد كانت في شهر(أوت-سبتمبر 1847)، إذ قامت قبيلة قلعية بإعادة الكرة[1].
- طالب الأمير بعد سماعه خبر قلعية وعودته بما نهبوه من أثاث الدائرة ومتاعها لكنهم رفضوا ذلك وأصروا على عدم استرجاع ما سلبوه.
- قام الأمير بغزوهم بعد رفضهم لطلبه، وهزهم شر هزيمة وقام بأسر فئة منهم ثم عفا عنهم الأمير بعدما استرجع ما أخذ وسلب من الدائرة[2].

- **نتائجها:**

- بعد أن رأى الأمير عبد القادر أن قبيلة قلعية همها الوحيد هو النهب والسلب اتصل ببعض القبائل المغربية لاستشارتها أهمها الأحلاف والمطالسة والسبع فيما اقترفته هذه القبيلة ضد الدائرة الجزائرية، إذ قامت بمساندته.
- ألحق الأمير بقبيلة قلعية الهزيمة ونظرا لعنادها تكبدت خسائر مادية وبشرية[3].
- فرض غرامات مالية على تلك القبائل.
- استنزاف القدرات القتالية للأمير.

[1]- نور الدين بلعريبي: المرجع السابق، ص 125.

[2]- نفسه، ص 125.

[3]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 314.

- حدوث اضطرابات في صفوف قبائل الريف إذ يقول السلطان في هذا الصدد: " **مع هذا الاضطراب الكبير ودخول تلك القبائل والأحلاف فقد عرفتنا هذه الواقعة قبائل الريف وأهله وبمواقفهم وأنهم عبيد العصا، وأتباع كل ناعق مع أن كنا نظن فيهم الحمية والجد، فانظر إلى الفتان مع قلة من معه وكونه في غير بلده كيف توصل بالدهاء والمكر والسياسة على ما لم تتوصل إليه نحن بالكثرة وعدم السياسة**"[1].
- تخوف قبائل الريف من الأمير بالرغم من قلة فرسانه (عدة وعدد)، وزرع القلق والرهبة في قلوبهم وهذا ما أكده السلطان في قوله:"...**كيف يخافون منه وكل قبيلة تعد العشرة آلاف والعشرين ألفا من أهل المقاتلة والحمية، وإنما ذلك منهم نفاق وخيانة وتقاعد عن الوفاء يرون ما يفعل ويقدرون عن منعه لكن يقولون لو أمر بها ولم تسؤن قاتلهم الله أنى يؤفكون**"، وفي قول آخر:" ...**وبذلك دخل الفشل في القبائل الريفية، والخوف من نزوله مثل ذلك بهم...وإنهما ألحوا في توجيه المدد، فأجبتهما بأن سبب تأخير المدد هو ما فشي في تلك القبائل من النفاق، وأن الأمر الأكيد هو استعمال السياسة في ألفتهم، وتحريضهم على التضييق على الفتان، وبذل الجهد في عداوته حتى يتميز الصديق من العدو والناصح من غيره...**"[2].
- الدور الكبير الذي لعبته بعض القبائل المغربية في دعمها للأمير، رغم ما كان السلطان يفعل بهم من إبادة وضغط حتى لا يمدوا يد المساعدة للأمير.

ج) إبادة الحشم وبني عامر:

لقد نشبت هذه الواقعة عندما ترك بني عامر دائرة الأمير عبد القادر بعد المشاكل التي وقعت بينهم وبين ابن التهامي خليفة الأمير بدسائس الخليفة البوحميدي، ورحلوا إلى فاس غاضبين حيث استقبلهم السلطان عبد الرحمان ومنحهم أرض تشتمل على بسائط خصبة

[1]- إسماعيل حامت: المرجع السابق، ص ص 165-166.

[2]- نفسه، ص 166.

وأقاموا بها ولما سمعوا بأن الأمير رجع من الجهة الشرقية إلى الدائرة أرادوا الرجعة إلى ولي نعمتهم، وكتبوا إليه أن يراقبهم إلى مكناسة وارتحل الأمير بدائرته إلى كرط قريب من جبل قلعية وسار في نخبة من فرسانه إلى بلاد مكناسة، وأخذ بنو عامر في الرحيل[1].

سرعان ما انتشر خبر رحيلهم إلى السلطان عبد الرحمان، بعد سقوط رسالة من تلك القبائل والتي تطلب فيها هذه الأخيرة من الأمير ملاقاتهم، وهنا تنكر لهم وقلب لهم ظهر المجن بسبب وشاية همس بها في أذنه أحد أمرائه المغرضين وهي أن بنو عامر هاجروا إلى المغرب من أجل نشر الفتنة، والعمل لصالح الأمير عبد القادر وتمهيد الطريق له من أجل أن يستولي على الدولة العلوية ويضمها إلى الجزائر[2].

قام السلطان عبد الرحمان بإرسال جيش كثيف من الشراردة وعين عليهم القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل ليقتفوا أثرهم، عندما اتجهت القبائل الجزائرية إلى الشرق، رأى السلطان أن هذه الحركة عاملا من شأنه أن يعزز جانب الأمير خاصة من الناحية العسكرية حيث كانت قيمة فرسان بني عامر وشجاعتهم معترف بها من الجميع في حركة المقاومة، ولما تبعوهم قالوا بأنهم مجرد مهاجرين أرادوا العودة إلى دائرة أميرهم لأمر اقتضى ذلك وأن السلطان لا يمكنه أن يمنعهم من العودة لا بالشرع ولا بالقانون، لكنه أغار عليهم يوما كاملا وتكاثر عليهم الجيش، وأحاط بهم، وكانوا يدافعون عن حريمهم ويجمعون موتاهم وينصبوهم أشبارا يترسون به، ويقاتلون من خلفه حتى أرهق كاهلهم، ثم قام الجيش بشن حملة واحدة، وجالدوهم بالسيوف وطعنوهم بالرماح، ثم بدئوا يقتلون بناتهم ونسائهم بأيديهم فرارا من السبي والعار ثم جعلوا يقتلون أنفسهم حيث تحققوا أنهم في قبضة الأسر، ومن بقي منهم من النساء والأولاد أخذهم المراكشيون وباعوهم في أسواقهم بأبخس الأثمان[3].

قام المغاربة بقطع الماء عن بني عامر من كل الجهات، ما تسبب في موت العديد منهم عطشا خصوصا الصبيان، ولاقوا أشد طرق التعذيب على أيديهم.

---

[1]- محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 593.

[2]- نفسه، ص 593.

[3]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص 320-321.

لما وصل الخبر إلى الأمير عبد القادر انفعل كثيرا لما حدث، وشعر بالحسرة والاشمئزاز لهذا العمل الذي لم يعرف له مثيل أثناء كفاحه الطويل ضد الفرنسيين، وقرر العودة إلى الدائرة.

وما نستنتجه أن المغاربة تكبدوا خسائر مادية وبشرية، وتم إحداث اختلال في صفوف الجيش المغربي، كذا الحقد والعداء الكبير الذي يكنه السلطان للأمير عبد القادر، هذا ما يظهر من خلال الوحشية التي أظهرها ضد أهالي بني عامر.

القضاء على أهم قبيلتين جزائريتين هاجرتا إلى المغرب بغرض الحمية من السلطان، لكنه ارتكب مجزرة رهيبة راح ضحيتها أكثر من ثلاثة آلاف مهاجر جزائري، وأسر من بقي من أهالي بني عامر والحشم، ومعاملتهم معاملة العبيد والاستيلاء على أمتعة وأسلاب القبيلتين خاصة الخيم والخيول، وتخوف القبائل المترددة في مناصرة الأمير عبد القادر وعادت إلى صفوف المخزن.

رأي بعض المؤرخين في الحادثة:

1- رأي المؤرخ المغربي الناصري في كتابه الإستقصا، ج9:

يقول صاحب الإستقصا أن ما حدث لبني عامر ما هو إلا مكيدة دبرت من الأمير عبد القادر ضد السلطان عبد الرحمان، ويقول السلطان في هذا الصدد: "**ثم دبرت مكيدة ووجه شرذمة عتيدة وأمرها أن تظهر أنها منه فارة هاربة مع أنها شيطنة أفاعيه وعقاربه فلما تفطن مولانا لتلك الدسيسة أمر باجتياح تلك الشرذمة الخسيسة...ثم احتال بأن بعث جماعة من الحشم وبني عامر شيعته إلى السلطان قدمهم أمامه صورة هراب مستجيرين بالسلطان فلما اطلع السلطان على دسيسته بعث أولئك الجماعة عسكر من الشراردة فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد**"[1].

2- رأي الأمير عبد القادر من خلال مذكراته:

يرى الأمير عبد القادر أن هذه الحادثة ليس لها مثيل، وأن السلطان عبد الرحمان استخدم هذا الأسلوب الشنيع في مهاجمة قبائل بني عامر لزرع الخوف في قلوبهم، أيضا حتى

[1]- الناصري: **الإستقصا**، ج9، المصدر السابق، ص 56.

يؤثر في القبائل المغربية التي يمكن أن تفكر في مساندة الأمير عبد القادر، ويقول الأمير في هذا الصدد:"**وكان ناسنا الذاهبون من عندنا مثل الحشم وبني عامر في تلك الأيام قدموا وعزموا على الرجوع نحونا فحل بهم المخلوع ما لم نر فعله من النصارى**"[1].

3- رأي محمد بن عبد القادر من خلال كتابه تحفة الزائر:

يرى صاحب التحفة بأن ما قام به السلطان وجيشه يعتبر من أبشع الجرائم، وأنهم استحلوا دماء قوم مؤمنين، والله سبحانه وتعالى حرم قتل المؤمن من الحربيين فكيف به إذا كان من المؤمنين لما سمع قوله عليه الصلاة والسلام كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب المرء من الشرك أن يحقر أخاه المسلم إما بلغه ما روى ابن المبارك عن حمزة بن عبيد ما يحل لمؤمن أن يشتد على أخيه بنظرة تؤذيه وغاية ما أقول لقد تعدى وعند الله تجتمع الخصوم[2].

د) معركة سلوان 1847 (واقعة الجملين):

أسبابها:

بعد وقعة بني عامر انتقل الأميرإلى زايو وهو موضع مطل على سهل تريفه، وجاء عنده محمد بن عبد الرحمان رئيس قبيلة الأحلاف وقام بالتفاوض مع الأمير على أساس اجتناب المعارك وخلق السلم بين الطرفان، اتفق الطرفان على أن يرسل الأمير أحد خلفائه إلى السلطان ليعتذر منه ويسمح له بالذهاب إلى الصحراء، وعين خليفته البوحميدي لهذه السفارة ورافقه محمد بن عبد الرحمان إلى فاس وصلا إليها في ماي 27 نوفمبر 1847، إلا أن السلطان لم يستقبل السفير البوحميدي استقبالا حسنا وقام بإلقاء القبض عليه، حتى أنه لم يقابله حتى في 3 ديسمبر من نفس السنة، ولم يسمح له حتى بالتحدث لأن حقده على الأمير وحب الانتقام منه لم يتركه يعطي لخليفة الأمير التحدث والإفصاح عما جاء من أجله[3].

---

[1]- الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 122.

[2]- محمد بن عبد القادر : **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 594.

[3]- عبد الرحمان ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس**، ج5، المصدر السابق، ص ص 76-77.

قام السلطان بالزج بالخليفة في السجن، مع اتهامه بأنه السبب في موت القائد ابن الأحمر، وقال له بأن الحل الوحيد للأمير أن يشتت دائرته ويسلم نفسه هو ورجاله وأرسل البوحميدي هذا الخبر عن طريق اثنان من مراقبيه، وبقي هو مسجونا عند السلطان وأرغمه على تناول مشروب مسموما ومات بعد أن مزق السم أمعاءه[1].

لما بلغ الخبر الأمير تأكد بأن نوايا سلطان المغرب هو إلقاء القبض على الأمير لذلك قرر بأن لا يذهب إليه، وعلم بأن السلطان زاد تخوفه من فرنسا، والحقد والضغينة ملئوا قلبه ولم يعد يراعي لا روابط دينية، ولا حكم الجوار بينهما.

هناك اختلاف حول استقبال البوحميدي، فابن زيدان يذكر في إتحاف أعلام الناس أن السلطان أكرم وفادته واستقبله أحسن استقبال، أما صاحب التحفة يذكر عكس ذلك.

-حيثياتها:

لما رأى الأمير أن القوات المغربية والقبائل المجاورة يطاردوه يوما بعد يوم، وشقيقاه مصطفى وسعيد قررا تسليم أنفسهم والاستسلام للفرنسيين وطلب الأمان من الجنرال لامورسيير، قرر أن يقوم بهجوم مفاجئ تتراوح فيه القوة ببراعة الحيلة ودقة التخطيط.

في ليلة 11-12 ديسمبر 1847 جمع جيشه، وأحضر جملين وشد على كل منهما حزمتين من الحلفاء بعد أن طلاهما بالقطران وأشعل النار فيهما ليلا، وهكذا ضرب الأخوين محمد ولي عهده وأحمد مخيماتهم، بعد أن قام السلطان بتجهيز ولديه في 50000 مقاتل وسيرهم إليه في2 ديسمبر1847، وأنزلهم في قلعة سلوان على مسافة 3 ساعات من الدائرة، كانت القوات المغربية تقدر 12000 جنديا مغربيا، بينما كانت قبائل الحشم وبني عامر حوالي 800 فارس و1200 جندي في 11 ديسمبر، وتمت معركة على ضفاف واد ملوية بين الجيش المغربي من 30000 جندي بقيادة ابن عبد الصادق والمولى أحمد، كانت المعركة بساحل كبدانة بينما كانت قوات الأمير بقيادته مكونة من المشاة و1200 فارس بمساندة قبائل المطالسة المغربية[2].

---

[1]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 317.

[2]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 595.

رأى الأمير عبد القادر أن يبادر هو بالهجوم على المغاربة، ولما اقترب من جيوش السلطان استخدم طريقة الحيلة لزعزعة صفوف الجيش المغربي إذ طلب من جيشه أن يقوموا بتقديم الجملين أمام الجيش وأضرمت النار في الجملين، ثم بدأ الجملين يجوسان خلال خيام العدو، وقفت جيوش الأمير وقفة رجل واحد، وبدأت النيران تهب في خيم المغاربة، والرصاص يتناثر عليهم[1].

زعزع الأمير عبد القادر صفوف الجيش المغربي، وفروا تاركين وراء تلك الخيام بما فيها من الأمتعة والمهمات وبقي الأمير وجيوشه يهاجمونهم دون أن ينتبهوا على الغنيمة.

- **نتائجها:**

- ساد الرعب والخوف والاضطراب في جيوش السلطان إذ أن أحد العساكر المغربيين كان يطلق الرصاص على المعسكر الآخر يعني التابع لأحد أبناء السلطان، واستمر القتال بين الطرفان حتى فجر اليوم الموالي إلى أن وصلوا إلى سرادق أولاد السلطان والأشخاص لحمايتهما، واحتدمت المعركة على السرادق من نصف الليل الأخير، ثم تراجع الأمير بجنده وتوقف عند مكان ليس بعيد عن معسكر العدو[2].
- في 16 ديسمبر أراد المولى محمد أن ينتقم من الأمير عبد القادر، وأرسل جيشا يتكون من 5000 مقاتل لتعقب الأمير، ولما رآهم الأمير استعد لقتالهم ب 200 فارس، ولما اقتربوا منه انقض عليهم في هجوم جريء تخلل صفوفهم، ولما انتهى من المعركة عاد إلى الدائرة وانتقل بها من زايو إلى نهر ملوية ونزل بالقرب من مصبه في البحر ونزل هناك[3].

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 597.

[2] – نفسه، ص 598.

[3]– إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 319 وما يليها. وعبد الرحمان الجيلالي، ص 228.

هـ) معركة عجرود(حيثياتها، نتائجها):

1) حيثياتها:

بعد معركة سلوان 1847، قام السلطان عبد الرحمان بإرسال رسالة إلى القبائل المجاورة مما جاء فيها:"...**واعلموا أن نزول الحاج عبد القادر ودخوله بين أظهركم هو الذي جرأ أعداء الدين عليكم، وجعل وجهتهم إليكم...لأن ذلك الفتان جر البلاء لأهل الواسطة حتى جرأ عدو الدين عليها...وأنتم عن دسائسه ساهون، وعن مكره بكم لاهون...زهدا من فعل الشيطان إنه عدو مضل مبين، فتيقظوا لدسائسه واستعيذوا بالله من وساوسه واصدموا حباله ومن معه وأخرجوهم، وضيقوا عليهم بمنع الأسواق وأحرجوهم، لتعودوا عليكم بركة الامتثال، وتفوزوا برضا الكبير المتعال**"[1].

كان جيش المغاربة مقيما بسلوان بعد هزيمته فيها في الوقت الذي كان الأمير قد أمر أن ترتفع الدائرة إلى ناحية عجرود* وعين العسكر المشاة لمحافظتهم عندما بلغ أن الجيش المغربي وحشوده انتقلوا إلى زايو، وبعد أن لب المغاربة نداء سلطانهم(قبائل قلعية وكيدانة ومن قاربهم من قبائل البربر وعرب تريفه)، واجتمعت حشودهم، وقع القتال بينهم على النهر واشتد القتال من كل جهة، وتقدم جيوش البربر إلى المقطع بعد نفاذهم من عبور النهر، لأن بعضهم غرق بخيولهم، وأصبح القتال عنيفا دام عدة ساعات وكثر القتال قعصا بالرماح وطعنا بالسيوف، واشتهر في هذه المعركة القائد الشهير محمد بن يحي الذي لعب دورا كبيرا في المعركة، ثم أصيب فرس الأمير ووقع من تحته وركب غيره ثم أصيب الفرس الثاني وركب ثالثا فأصيب، وركب رابعا، ثم لحقت جموع بني يزناسن وتريفه من أجل نجدة أبناء السلطان، وواصل الأمير جهاده وملأ قلوبهم رعبا إلى أن ردهم إلى النهر بعد نفاذ ذخيرته من البارود، وحتى انتهى إلى عجرود ومال العدو إلى الدائرة

---

[1]- عبد الرحمان ابن زيدان: **إتحاف أعلام الناس**، ج5، المصدر السابق، ص 77 وما يليها.

*عجرود سهل ممتد من مصب ملوية إلى ميسردة ويسمى الأن سعيدية، وفي الجهة الشرقية بمنطقة مسيردة " مرسى بن مهيدي".

ودافع عن العسكر المشاة بكل قوة وثبات حتى أجارت الأثقال والحريم والأولاد وادي عجرود[1].

- **النّتائج:**

- قتل حوالي 100 عسكري وأسر مثلها، وفقدان الأمير الذخيرة، وحاجته إلى السلاح، إذ كبدت هذه المعركة الأمير خسائر مادية ونهبت محلته.
- محاصرة الأمير وتطويقه من كل الجهات سواء من طرف المغاربة أو الفرنسيين.

المبحث الثاني: توقف الأمير عن القتال وردود الفعل

عندما وجد الأمير عبد القادر نفسه محاصرا من كل الجهات،رأى أن خلاصة الوحيد هو الصحراء، وعليه دفع دائرته نحو الحدود الجزائرية، واجتاز نهر ملوية ودارت آخر معركة ليصل إلى سهل تريفه، إذ دارت معركة حادة قتل فيها أكثر من نصف المشاة النظاميين والقسم الأفضل من الفرسان، ثم عبرت الدائرة وادي الكيس، توقف المغاربة عن مطاردتها ثم عبر الأمير عبد القادر الحدود إلى أن أطل على تل كربوس المواجه له والذي كان تحت سيطرة الفرنسيين، إذ جرى إطلاق نار بين الأمير والسباهين، وكان رتل لامورسيير قريب من الأمير وهنا رأى الأمير أن قواته مستحيل أن تكفي للمجابهة، وبعد تفكير قرر الأمير الاستسلام، فما هي الأسباب التي دفعت الأمير إلى الاستسلام؟ ولماذا قرر الأمير تسليم نفسه إلى الفرنسيين وليس المغاربة؟ وما هي ردود فعل الحكومة المغربية والسلطات الفرنسية والشعب الجزائري؟

1) أسباب توقف الأمير عبد القادر عن القتال:

- شعر الأمير بالعجز بعدما كان يشعر منذ طفولته أنه مقدر له القيام بمهمة عظيمة في حياته المستقبلية.
- الحصار الشديد الذي فرضته السلطات المغربية على الأمير عبد القادر وضغطها عليه من خلال منع قبائلها من تقديم المدن، وقطع الطريق عنه.

[1] – محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 599.

- سياسة فرنسا المعتمدة في تشويه صورة الأمير أمام القبائل المساندة له ومحاصرته، واستسلام بعض قادته أهمهم خليفته أبو سالم الذي استسلم في مارس 1847، بعد أن تعرضت بلاد القبائل لثلاث حملات فرنسية سلطت أشد أنواع الانتقام على السكان.
- العنف الذي سلطه السلطان وأتباعه ضد المهاجرين الجزائريين، وخيانة بعض القبائل له.
- حالة اليأس التي بلغها الأمير عبد القادر، خاصة بعد استشهاد أهم قادته من بينهم محمد بن يحي المعروف بورعه وشجاعته، ويقول الأمير في حقه"نشهد أمام الله أنك فعلت ما تستطيع لإعلاء كلمته، والله سينصفك يوم الحساب الأخير"[1].
- نفاذ ذخيرة الأمير عبد القادر، ولم يعد بإمكانه مواصلة الجهاد وهو في حاجة إلى السلاح والمدد، حتى المساندة والدعم من بعض القبائل التي تراجعت عن دعمه تحت تأثير المخزن.
- تأكد الأمير عبد القادر أن عبور الصحراء لم يعد ممكنا، ورأى الأمير إلى عائلته وجيشه والمصابين الذين لم تعد في طاقتهم مواصلة الحرب أو حتى السير.
- القلق الكبير الذي انتاب الأمير إزاء ما قام به سلطان المغرب قتل سفيره وخليفته البوحميدي، وقتل محمد بن عيسى البرقاني حاكم مدية السابق في تازة، ومراكش التي كانت ملجأ له ولأهله أصبحت قبرا لهم.
- شدة البرد وكثرة الأمطار، والأطفال والنساء والشيوخ يموتون جوعا وغيضا[2].
- قوة الجيش الفرنسي والذي كان يفوق جيش الأمير عدد وعدة، وكان الجنرال لامورسيير يتربص به، وسد عليه جميع السبل.

[1]- برونو اتيين: **الأمير عبد القادر الجزائري**، المصدر السابق، ص 237.

[2]- نفسه، ص237. **وتحفة الزائر**، ص 599.

- تخلي الأمير عبد القادر عن قواده وخلفائه، لأن ذويه خانوه، وأصبحت زمالة الأمير تعج بالأرامل وأطفالهم الذين اعتبرهم الأمير أمانة في عنقه[1].
- رأى الأمير أن يستسلم كأحسن حل لأن مواصلة الجهاد ستضاعف من الوضع الراهن، مع الحصار البحري المغربي على السواحل الجزائرية، والحصار البري المفروض على الحدود الغربية والشرقية الأمر الذي صعب مهمة وصول الأسلحة والإمدادات إلى المجاهدين، ورفض السلطات العثمانية والانجليزية تقديم المدد له.

2) تسليم الأمير عبد القادر:

لقد وجد الأمير عبد القادر نفسه وحيدا محاصرا، أو مضايقا يقاتل دولة متفوقة سياسيا وعسكريا واقتصاديا، بينما حكومة الأمير أيامها معدودات منذ تأسيسها، قام الأمير باستشارة المقربين إليه أمثال مصطفى بن التهامي وقدور بن علال...، وقال: "**يا قوم إن الأحوال كما ترون والأخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة؟...فقالوا: الرأي لسيدنا فالذي يراه نحن معه فيه فقال: لا أرى إلا التسليم لقضاء الله تعالى والرضا به ولقد أجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد، وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر منها والباد، وذلك من حين اهتز غصن شبابي، وافتر عن شباه الهندي نابي، وأقمت على ذلك ما ينيف على سبعة عشرة سنة أقتحم المهالك، وأملأ بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك، أستعقر العدو على كثرته واستسهل استصعابه، وتوغل غير خائف أو دنية وشعابه، وأرتب له في طريقه الرصائد، وأنصب له فيها المكائد والمصائد، تارة انقضعليه انقضاض الجارح، وأخرى أنصب إليه انصباب الطير إلى المسارح، وكثيرا ما كنت أبيته فأفنيه، وأصحبه فأبرد غليلي وبنان، وأقضي حق الجهاد بالمهند والسنان إلى أن فقدت المعاضد والمساعد، ونفي الطارق والتالد، ودبت إلى من بني ديني الأفاعي**

[1]- عبد الرزاق السبع: **الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أوت 2000 ص 47.

واشتملت على منهم المساعي والآن بلغ السيل الزبى والحرام الطبيين، فسبحان من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد"[1].

وفي قول آخر يقول الأمير لمن تبعه:" **لم يبق سوى ثلاثة حلول ممكنة: إما اجتياز تل كربوس والعبور فوق أجسام الخيالة الذين يحرسونه، ولو سلمنا جدلا بأننا سنعبر، فلا بد من التفكير بأن الفرنسيين هم قريبون من الموقع، وإما سلوك طريق يسمح للمشاة والفرسان ببلوغ الجبل وعبوره، لكن النساء والأطفال والجرحى لن يستطيعوا السير في هذه الحالة، وينتهي الأمر بهم إلى الوقوع في أيدي النصارى، وإما الاستسلام أخيرا**" وتكلم صحبه كرجل واحد:" **لتمت النساء والأطفال وأهلنا، المهم أن تسلم أنت سلطاننا الذي سيتمكن وحده من استئناف القتال في سبيل الله"[2].**

أمام هذه الظروف الصعبة رأى الأمير عبد القادر أن يتصل بالباب العالي بغية طلب المساندة،[3].لكنه لم يلقى أي صدى مع أن الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، كانت نتيجة الحكام العثمانيين، بغض النظر عن الأوضاع التي كانت تعيشها الدولة العثمانية من ضعف وفتن[4].

أما بالنسبة إلى تونس فلقد راسل الأمير عبد القادر الباي التونسي محمد بن حسن يطلب منه الدعم والمساندة ضد قوات الاحتلال الفرنسي في شهر ماي 1847، لكن هذه المراسلات لم ترد عليها السلطات التونسية، كان موقفها معارض وسلبي اتجاه المقاومة الشعبية الوطنية وعارضوا تقديم أي مساعدات للأمير عبد القادر[5].

---

[1]- إدريس خضير: المرجع السابق، ص 236.

[2]- هنري تشرشل: المصدر السابق، ص 313.

[3]- أحمد توفيق المدني: **أبطال المقاومة الوطنية (حمدان خوجة، أحمد باي قسنطينة، الأمير عبد القادر والدولة العثمانية)**، مجلة التاريخ، الجزائر، 1977ع 4، ص99 وما يليها.

[4]- أبو القاسم سعد الله: **شعوب وقوميات**، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص ص 17_18.

[5]- يحي بوعزيز: **موقف البايات التونسيين من ثورة الأمير عبد القادر**، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 23، 1975 ص 27.

بالنسبة إلى علماء الأزهر الشريف، لم يحركوا ساكن على حث المسلمين من أجل الجهاد مع العلم أنهم أفتوا بتحريم الجهاد في الجزائر واعتبروا الاستعمار قضاءا وقدرا محتوما كما أشرنا لذلك من قبل في الفتوى التي تحصل عليها ليون روش من علماء الشرق:" **إن أي شعب مسلم يغزو الكفر أراضيه فيقاوم ويفقد كل حظ في الحصول على الانتصار يستطيع أن يقبل العيش تحت سيطرتهم مع الاحتفاظ بأمله في التخلص من النير الاستعماري بعون الله تعالى، ويكون الخضوع مشروطا باحترام العدو للحرية والدين والشرف والنساء خاصة**"[1].

حاول الأمير عبد القادر الاتصال بالحكومة الاسبانية عبر حكامها العسكريين في مليلية وقام بإرسال عدة رسائل إلى الملكة"إليزابيث"، لكن الحكومة الاسبانية لم تكن تسعى إلى مساندة الأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية[2].

أمام هذه الظروف الصعبة، والمراسلات التي لم تجد أي صدى قرر الأمير عبد القادر التسليم إلى الفرنسيين إذ يقول في هذا الصدد:"**قمت بمحاربة الفرنسيين لمدة 15 سنة من أجل بلادي، لكنني عندما رأيت تعب رفاقي ورفض القبائل الجزائرية لنصرتي والسير في طريقي وعمل المغاربة على تسليمي للفرنسيين فهمت...أن مهمتي انتهت وإلى الأبد**"[3].

وكاتب الأمير الجنرال لامورسيير رئيس الجيش الفرنسي، وبعث رسولا من حاشيته ليخبره ولما بلغ الخبر أحد أتباع لامورسيير وسار معه في جمع من الخيل إلى المعسكر الفرنسي ليبلغ الجنرال ما اقتضى ما أمر، واهتز الجنرال لذلك مسرورا وأرسل إلى الأمير سيفه مع ورقة ختمها بختمه على بياض ليشترط الأمير ما أراد[4].

لقد تمثلت شروط تسليم الأمير عبد القادر في ما يلي:

---

[1]- نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص ص 142-143.

[2]- يحي بوعزيز: **الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية**، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 1962، ص 104.

[3]- نور الدين بلعربي: المرجع السابق، ص 143.

[4]- محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر**، ج1، المصدر السابق، ص 603.

- أن يحملوه مع جميع عائلة إلى عكا أو الإسكندرية، ولا يعترضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر، وأن الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه.
- سلم الأمير نفسه في 15 محرم1264هـ/23 ديسمبر1847م.

3)ردود الفعل:

قبل أن نتطرق إلى ردود الفعل إزاء تسليم الأمير عبد القادر، يجب أن نتطرق إلى أهم الأسباب التي دفعت الأمير عبد القادر يسلم نفسه إلى الفرنسيين وليس إلى المغاربة:

- رأى الأمير عبد القادر أن التسليم للفرنسيين أهون عليه من أن يسلم نفسه للسلطان عبد الرحمان، مستندا في ذلك إلى عامل تاريخي ألا وهو أن فرنسا أعطت قيمة ومكانة لبعض قادته الذين سلموا إلى فرنسا(أحمد بن سالم وبومعزة...)، وأن السلطان عبد الرحمان حسب اتفاقية طنجة سيسجن الأمير، أو يقتل.
- رأى الأمير أن المغرب لا يعرف لا قانون ولا شرع، ودليل ذلك ما فعله السلطان بقبائل الحشم وبني عامر، أما فرنسا فهي دولة قائمة بحد ذاتها على القوانين والأصول، يقول الأمير من خلال مذكراته:"**المصير إلى الجند الفرنسي أولى من التول للمغاربة لأنهم لا عقد عندهم...ولأن الجيش الفرنسي بيت ملك من قديم الزمان وضوابط شؤونهم مضبوطة وكلمتهم عند المتولى للأمير لا يتعداها غيره ولو أعلى منه فيعطونهم قدرهم من التعظيم والحرمة ولو كانوا أعداء**"[1].
- فقد الأمير كامل ثقته بالمغرب سواء من ناحية السلطان عبد الرحمان الذي كتب الأمير في قوله:"**لقد أثرت أن أسلم نفسي لمن حاربني على أن أسلم نفسي لمن**

[1]- الأمير عبد القادر: **المذكرات**، المصدر السابق، ص 184.

خانني"، وفي شأن المغاربة قال:" **فلم يلتفوا لقدرنا، لأن قبول المعذرة شأن كرام الناس والمغاربة لئام الناس**"[1].

أ) الردود الفرنسية:

لقد فرح الفرنسيون كثيرا لسماعهم هذا الخبر، واحتفلوا بهذا الانتصار الباهر الذي حققوه لأن الجزائر أصبحت مستعمر فرنسية، وأن هذا الاستسلام يعتبر حدثا في غاية الأهمية لفرنسا، إذ جلبت الآلات الموسيقية الفرنسية، وكانت مدافعها تدوي بالعاصمة معلنة للشعب الجزائري نبأ ما حدث، ويمكن إثبات ذلك في ما كتبه دي شاستو إلى وزير الشؤون الخارجية:"**لقد اختفى اليوم كل عامل الخلاف بين فرنسا والمغرب، وآمل أنه لم يعد علينا إلا أن نزيد في توثيق علاقات التفاهم بين الدولتين ونعمل تدريجيا على إدخال الحضارة التي لا تزال على درجة كبيرة من البربرية والتخلف**"[2].

ب) الردود المخزنية:

لقد استقبل نبأ تسليم الأمير عبد القادر بالمزيد من الفرح والسرور لدى المخزن المغربي وفي يوم 25 ديسمبر1847 أمر سيدي محمد بإطلاق 21 طلقة مدفع، وإقامة الزينات والاحتفالات عبر مختلف المدن المغربية.

أما موقف السلطان فلق تميز بالاستغراب والاشمئزاز بقوله:" **فقد وصلنا كتابك في شأن إلقاء الفتان نفسه لعدو الدين لفرنسيس، وكنا نضن أن معه من العلم والدين ما يرده عن ارتكاب هذه الكبيرة حتى اختار ذمة الكفرة عبدة الأصنام على ملة الإسلام فهذا من سوء الخاتمة والعياذ بالله**"[3].

وفي رسالة كتبها السلطان إلى أحمد بن المجاطية يوم 30 ديسمبر1847، معتبرا أن ما حدث هو فتح عظيم مما جاء فيها:"**الفاسد الفتان وخليفة الشيطان، أبعد في الجسارة وامتطى مطي الخسارة...وسولت له نفسه الأمارة الاتصاف بالإمارة وأراد رشق عصا**

---

[1]- محمد السعيد القاصري: المرجع السابق، ص 209.

[2]- **نفسه**، ص 210.

[3]- محمد أمطاط : المرجع السابق، ص 64.

الإسلام وصدع مهج الأنام...واستبطن المكر والخداع وفاق فيه عابدي ود وسواع، وهو في خلال ذلك يظهر مظهر يستهوي بها أهل الجهالة والعماية الضلالة، فآيسنا من رشده وعرفنا مضمر قصده، فجهزنا له محلة منصورة ذات أعلام منشورة فكانت الكرة عليه...واستدبر المعركة وهام وعادت جموعه جمع تكسير وجيوشه موزعة بين قتيل وأسير"[1].

في 23 ديسمبر 1848 كتب أحمد بن بومهدي الهواري إلى السلطان عبد الرحمان مما جاء فيها:" **ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وخليفة الشيطان على كيده، وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلام ما أدهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مرية تزل على مر الليالي تتلى وتسمى...فقد تلطف خليفة مولانا ونجله حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل ود وسواع...فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذلك الأمر أي اتساق وليسهمني سيدي من ذلك الأجر الذي أعقبه الله البركة"[2].**

وما نراه هنا أن السلطان عبد الرحمان بالرغم من استسلام الأمير، إلا أنه استمر في وصف الأمير بالخائن، كذلك الفرح الذي أظهره الفرنسيين والمغاربة بعد سماع خبر الأمير[3].

ج) ردود فعل الشعب الجزائري:

لقد طغى على الجزائريين التشاؤم والكآبة والذهول والارتباك، والخوف من المستقبل المجهول لدى الأحرار من المواطنين وحتى أولئك الذين كانوا ضد الأمير لأنهم بالفراغ في الشخصية الوطنية وانحطت من معنوياتهم أمام هذا الحدث المؤلم الذي ينذر بالخطر الداهم ويوحي بالذل والهوان، والبؤس والشقاء والغربة ونحن في بلادنا ويصبح الأجنبي

[1]– إسماعيل حامت: المرجع السابق، ص179.

[2]– نفسه، ص 182.

[3] – (أنظر الملحق رقم 04، ص 119.)

هو صاحب السيادة والآمر والناهي ونحن على الهامش في خدمته تابعين له باستثناء أولئك المنحطين المستهترين الذين لا تهمهم إلا لقمة العيش، يخضعون للأقوياء ويتملقون إليهم وهم على استعداد لخدمتهم وطاعتهم كيف ما كان الحال.

مما سبق نستنتج أن المخزن المغربي نجح في تصفية حركة الجهاد الجزائرية، خاصة التهديدات التي كانت توجهها إلى القبائل المناصرة للأمير تارة بالسيف، وتارة أخرى باستخدام مفعول الهدايا والرشوة والحيلة، واستخدام سياسة تجويع القبائل المناصرة لحركة الجهاد الجزائرية، وما رأيناه في نكبة بني عامر تم قطع الماء عنهم فراح ضحية ذلك العديد من النساء وخاصة الأطفال.

خاتمة:

في ختام هذا المجهود العلمي سجلنا النتائج التالية:

- عرفت العلاقات الجزائرية المغربية فتورا منذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية لكن رغم هذا لم تتخل الجزائر عن المغرب في المواقف الصعبة.
- الموقف المعادي والمناهض للاستعمار الفرنسي للجزائر يظهر من خلال المساعدات التي قدمها المغرب حكومة وشعبا لإخوانهم الجزائريين والوقوف معهم جراء محنتهم.
- دعم السلطان المغربي للحملة الفرنسية في البداية بسبب العلاقة العدائية بينه وبين الداي حسين التي كانت قائمة على الحدود وهي سياسة عرف بها المغرب قديما لكن سرعان ما تحول موقفه من معارض إلى مؤيد بسبب ضغط الموقف الشعبي الذي أجبره على الوقوف جانب أهالي الجزائر،الذين كانت تربطهم بهم روابط لغوية، دينية وحتى عائلية في بعض الأحيان.
- قبول سلطان المغرب دخول أهالي تلمسان تحت حكمه من أجل تحقيق الأطماع التي كان يسعى للوصول إليها، بغرض التوسع على حساب الأراضي الجزائرية وضم الغرب الجزائري إلى المملكة المغربية ،إذ كان يعتبرها منذ القدم تابعة له.
- لجوء فرنسا إلى الكثير من الخطط والاستراتيجيات الخبيثة للحد من الدعم المغربي للأمير كالإبادة وسياسة الأرض المحروقة، والعمل على كسب الأطراف المعادية له عن طريق الإغراءات والهدايا، ومن جهة كانت ترسل شكاوي للسلطان عن طريق قناصلها في المغرب للضغط عليه.
- إصرار المغاربة على مواصلة تقديم الدعم للأمير رغم تخلي المخزن عن دعمه بحكم أنها كانت ترى فيه مثل الجهاد الأعلى بعد فقدانها الثقة في سلطانها.
- تعتبر معاهدة طنجة ولالا مغنية مكسبا قويا للفرنسيين ساهم في تغيير موقف سلطان المغرب ضد حركة جهاد الأمير مستخدمة الأسلوب الدبلوماسي الذي ساعدها في تمتين أواصر المحبة والسلام بين البلدين، نتج عن ذلك تعاون مغربي فرنسي ضد الأمير وتصفية حركته الجهادية والتي دفعته إلى الاستسلام.

خاتمة:

- استسلام الأمير أثلج صدر السلطان الفرحة، وفرنسا كذلك واعتبروا ذلك نصرا مبهرا لهما، وبذلك تنطوي صفحة الأمير عبد القادر الذي تمكن من مجاراة العدو الفرنسي لمدة 15 سنة.

وفي الأخير بالرغم من الجهد المبذول في موضوعنا إلا أنه يحتاج إلى المزيد من الدراسة والتحليل والبحث.

الملحق رقم 01 : رسالة من الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد الرحمن
(مؤرخة في أفريل 1846) يعلن ولاءه وطاعته للسلطان

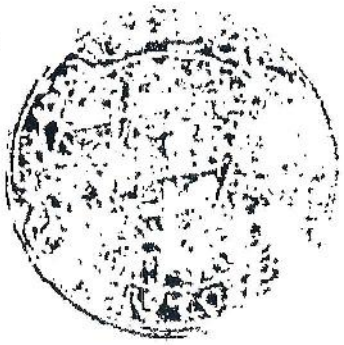

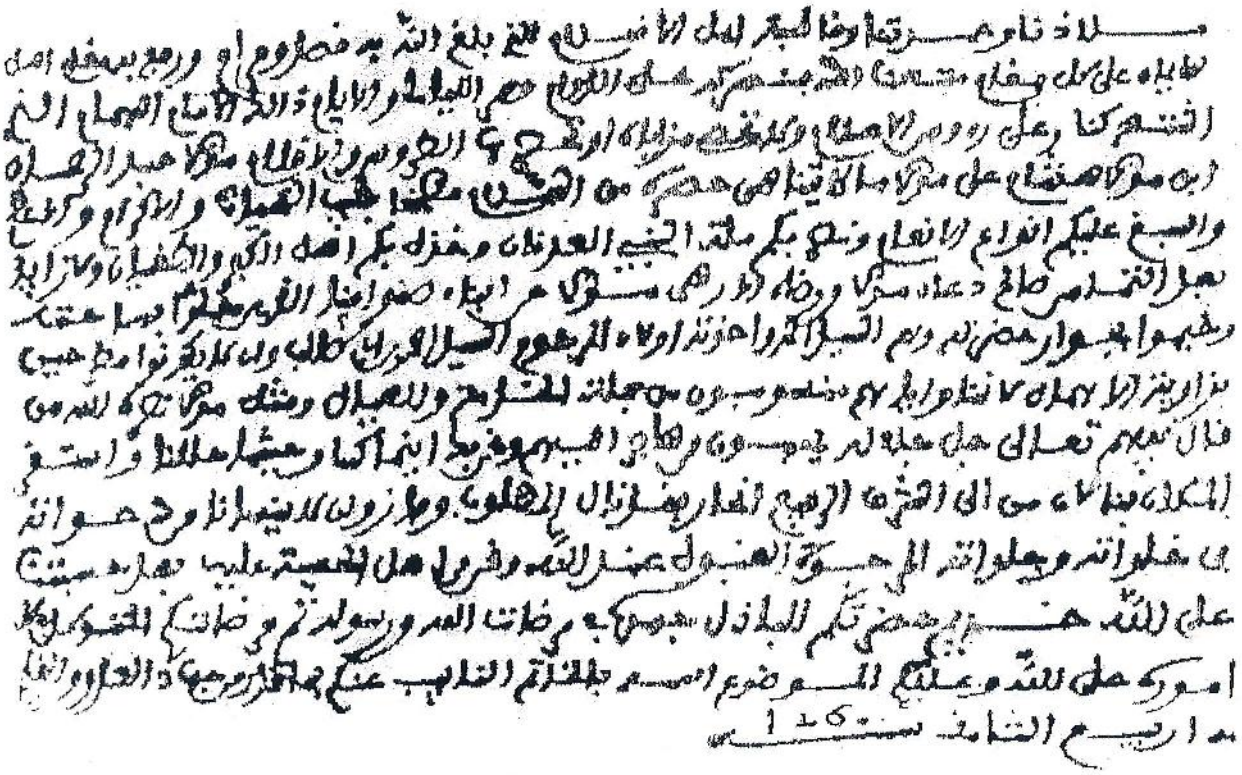

إسماعيل حامد : الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، المرجع السابق، ص 108.

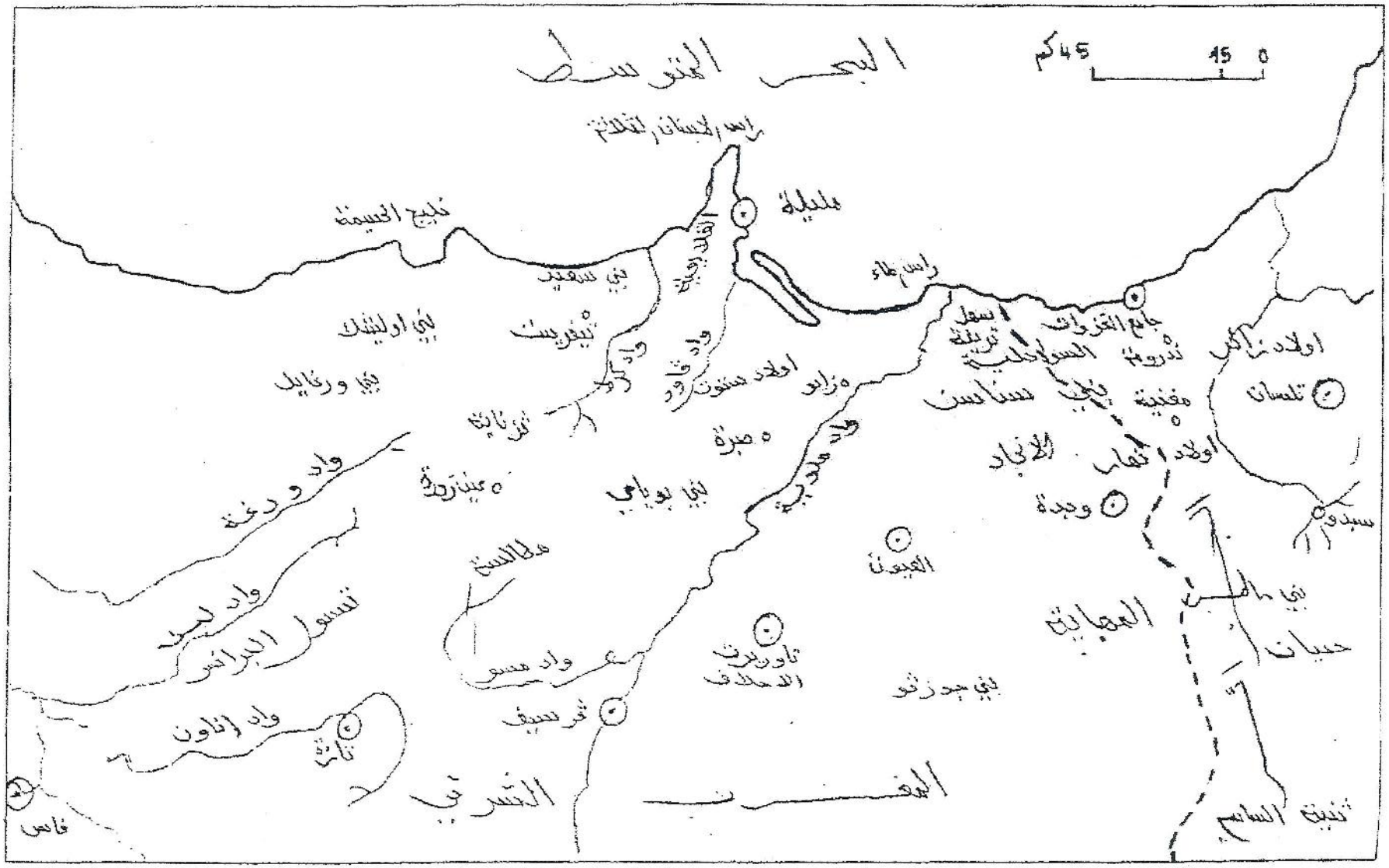

ملخص رقم 2 ص: يعني القول عدا ان الفقرة المراد شرحها الموضوعة

بحيى بوعزيز: مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، د.م.ج
ط2 الجزائر، 1985، ص 371.

ملحق رقم 03 : رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى ابنه محمد بعلن العداء عند الهجوم على مؤخرة في 9 و 10 سبتمبر 1847.

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولدنا البار الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمت الله تعلى وبركاته وبعد. فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمنها، وأن الكل أخبر بما عال إليه أمر قلعية مع الفنان عاجله الله بالانتقام من ذبحتهم عليه، وما وظف عليهم !! أبطات إغاثة قبائل الريف عنهم، فبوصول كتابنا هذا إليك تأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك فليس عندنا من نعول عليه إلا الله سبحانه وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا. ولا تظهر النهوض حتى تكون بمكناسة وتوجه لك من المحلة التي معنا إن شاء الله تعلى، وتتوجه معك محلة الحوز والمدد الذي في الحياينة وغيره لنازا بمول الله وعلى الله الكسال. والمال الذي وجهت لابن عبد الصادق الريفي يبقى بتازة تحت يد ولد آبا محمد، وهذا ابن عبد الصادق الذي يطلب توجيه المال له أي فائدة ظهرت له منذ توجّهه، فلا توجّه له شيئا، يقول الناس لا يقضي حاجتي مثلي، وأهل الحوز إن رأيتهم يتشوفون لإعانته اجعل لهم درهما للفارس في اليوم، وبوصول كتابنا هذا إليك بيّن لنا عدد ما عند أب محمد خيلا ورماتا مخازني وغيرهم، وعدد ما مع أخيك مولاي أحمد أصلحه الله وجيش المخزن وغيرهم، وكم عندك بفاس كذلك والله يعينك والسلام. في 18 شوال الأبرك عام 1263 هـ.

إسماعيل حامت ، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، المرجع السابق، ص 169.

ملحق رقم 4 : رسالة أحد عمال السلطان يظهر فرحه حول تسليم الأمير، مؤرخة في 23 سبتمبر 1848.

الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله.

ركن الشريعة وسيفها المهند المسلول أمير المؤمنين، بعد تقبيل أعتاب الدار السعيدة وأداء ما يجب بين العبد لمولاه، أنه ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وخليفة الشيطان على كيده وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلام ما ادهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مزية لم تزل على مر الليالي تتلى وتسمى، يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، فلقد تلطف خليفة مولانا وفعله حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل رد وسواع، فشهرت الأسواق

وخليت من الأحياد والأصناف فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذالك الأمر أتي اتساق، وليسهمني سيدي من ذالك الأجر الذي أعقبه الله بالخير والبركة فوقع الضفر، وفي 16 صفر عام 1264هـ.

عاسماعيل حامت . الحكومة المغربية والمنتدل الجزائري المرجع السابق، ص 182.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- ابن زيدان (عبد الرحمان): **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، ج5 تحقيق علي حموا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

2- أبو العباس (أحمد بن خالد الناصري): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، (ج 8-9)، دار الكتاب الدار البيضاء للنشر والتوزيع، 1997.

3- الأمير (عبد القادر): **مذكرات الأمير عبد القادر(سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1846)**، تحقيق محمد صغير تباني وآخرون، شركة دار الأمة، ط1، الجزائر، 1995.

4- ايتين (برونو): **الأمير عبد القادر الجزائري**، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر ط1، لبنان، بيروت، 1997.

5- تشرشل (هنري): **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، ط1، بيروت، 1980.

6- خوجة (حمدان): **المرآة**، تعريب وتقديم محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982.

7- الزهار (أحمد الشريف): **مذكرات(1754-1830)**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

8- سكوت (الكولونيل): **مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر1841**، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

9- محمد (بن عبد القادر): **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ج1، عني به داوود بخاري ورابح قادري، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012.

- المراجع:

1) الكتب:

1- أمطاط (محمد): **الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962**، مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2008.

2- بوعزيز (يحي): **الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية**، دار البعث لطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 1962.

3- بوعزيز (يحي): **الموجز في تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1965.

4- بوعزيز (يحي): **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

5- بوعزيز (يحي): **مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية** ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1985.

6- التر (عزيز سامح): **الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا**، دار النهضة العربية، ط1 بيروت، 1889.

7- جوليان (شارل أندري): **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، ج2، تقريب محمد ميزالي، البشير سلامة، الدار الغربية للنشر تونس، 1978.

8- الجيلالي (عبد الرحمان) : **تاريخ الجزائر العام**، ج4، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

9- حرب (أديب): **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر(1808-1847)** ج1-2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

10- خضير (إدريس): **البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962)**، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت.

11- الخلوفي (محمد الصغير): **بوحمارة من الجهاد إلى التآمر(المغرب الشرقي والريف) من 1900 إلى 1900**، دار النشر للنشر والتوزيع، الرباط، دت.

12- رزوق (محمد): **دراسات في تاريخ المغرب**، إفريقيا الشرق، ط1، 1991.

13- الزبيري (محمد العربي): **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي**، مطبعة بن بولعيد الجزائر 1975.

14- سعد الله (أبو القاسم): **الحركة الوطنية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1992.

15- سعد الله (أبو القاسم): **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998.

16- سعد الله (أبو القاسم): **شعوب وقوميات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

17- سعد الله (أبو القاسم): **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982.

18- سعيدوني (ناصر الدين) وآخرون: **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

19- سعيدوني (ناصر الدين): **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

20- شويتام (أرزقي): **المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (926-1216هـ/1519-1830)**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2009.

21- عباد (صالح): **الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)**، دار هومة للطباعة الجزائر 2005.

22- العسلي (بسام): **الأمير عبد القادر الجزائري (1807-1883)**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

23- العقبي (مؤيد صلاح): **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، دار البراق، مكتبة الشرق لبنان، 2002.

24- غربي (الغالي) وآخرون: **العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات والأبعاد**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مطبعة دار هومة، الجزائر، 2007.

25- غلاب (عبد الكريم): **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، المغرب، 2005.

26- الفيلالي (عبد الكريم): **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج5، شركة ناس للطباعة، ط1، القاهرة، 2006.

28- مجاهد (مسعود): **تاريخ الجزائر الحديث**، ج1، الجزائر، 1981.

29- مروش (المنور): **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة، الأساطير والواقع**، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

30- المكاوي (أحمد): **النظام، الجهاد، الهجرة إلى المغرب القرن 19**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.

31- الهندي (محمد إحسان): **الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات في الجزائر من العهد العثماني إلى عهد الثورة والاستقلال**، دمشق العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع 1997.

32- ياسين (إبراهيم): **موقف المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر(1830-1847)** جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1987.

33- يحي (جلال) وآخرون: **مسألة الحدود المغربية الجزائرية**، دار المعارف، القاهرة مصر، 1982.

2) المجلات:

1- بوعزيز (يحي): **موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر**، مجلة الأصالة العدد(23) الجزائر، 1975.

2- الحيدري (عبد الأمير هويدي): **الأمير عبد القادر الجزائري ودوره السياسي والعسكري** مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 17، إتحاد المؤرخين العرب، جامعة بابل العدد (2)، 2009.

3- صالح (محمود): **أزمة سبتة ومليلية بين المغرب واسبانيا،الدوافع والأهداف**، المجلة السياسية والدولية، الكوري(كلية العلوم السياسية) ، جامعة بغداد.

4- فركوس (صالح): **الداي محمد الكبير ودوره في بعث الحركة الثقافية ببياليك الغرب** الثقافة العدد (71)، الجزائر، 1982.

5- المدني (أحمد توفيق): **أبطال المقاومة الوطنية (حمدان خوجة، أحمد باي قسنطينة الأمير عبد القادر والدولة العثمانية)**، مجلة التاريخ، العدد(4)، الجزائر، 1975.

6- المشهداني (محمود حمد) وآخرون: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (5)، العدد (16) جمادى الآخر 1434هـ/2013م.

3) المذكرات:

1- بلعريبي (نور الدين): **العلاقات الجزائرية المغربية في عهد الأمير عبد القادر(1830-1847)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، المغرب-أوروبا كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2008.

2- بن قايد (عمر): **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا وإسبانيا)1659-1726**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010.

3- زاير (عبد القادر): **دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية الحديثة(1832-1847)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2009.

4- سلاماني (عبد القادر): **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة(1832-1847)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2008.

5- صحراوي (فتيحة): **الجزائر في عهد الداي حسين(1818-1830)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2010.

6- فلوح (عبد القادر): **العلاقات الجزائرية العثمانية (1818-1830)**، على ضوء وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2، 2009.

7- القاصري (محمد السعيد): **العلاقات الجزائرية المغربية(1830-1847)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2001.

8- مخطاري (حفيظة): **العلاقات السياسية الخارجية للجزائر في عهد الداي حسين(1818-1830)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2005.

9- المكي (جلول): **مسألة الحدود المغربية الشرقية(1234-1847) وأثرهما على العلاقات بين البلدين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

4) الموسوعات:

1- عجيل (أمل) وآخرون: **قصة وتاريخ الحضارات العربية 19-20 (ليبيا، السودان المغرب)** موسوعة تاريخية جغرافية، حضارية وأدبية، 1998-1999.

فهرس المحتويات:

مقدمة.....أ-ث

الفصل التمهيدي: طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني.....6

المبحث الأول: واقع العلاقات الجزائرية المغربية أواخر العهد العثماني.....6

1- **واقع أيالة الجزائر العثمانية**.....6-10

2- **أوضاع المغرب الأقصى**.....10-12

3- **العلاقات الجزائرية المغربية**.....12-13

المبحث الثاني: ردود فعل المغرب إبان احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830.....13

1- **الموقف الرسمي**.....13-15

2- **الموقف الشعبي**.....15-17

3- **استنجاد سكان تلمسان بسلطان المغرب**.....17-20

الفصل الأول: علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب(1832-1837).....22

المبحث الأول: واقع العلاقات الجزائرية المغربي في عهد الأمير عبد القادر...22

1- **أسباب تنامي العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان**.....22-29

2- **أشكال الدعم المغربي للأمير**.....29-33

3- **الموقف الفرنسي من الدعم المغربي للأمير عبد القادر**.....33-39

المبحث الثاني: معاهدتي ديميشال 1834 والتافنة 1837 وأثرهما على العلاقات الجزائرية المغربية.....39

1- **معاهدة ديميشال وأثرها على العلاقات الجزائرية**.....39-44

2- **معاهدة التافنة وموقف المغرب منها**.....44-51

3- **نقض معاهدة التافنة والنتائج المترتبة عن ذلك**.....51-55

الفصل الثاني: إستراتيجية فرنسا للحد من الدعم المغربي للأمير(1839-1845)...57

المبحث الأول: عوامل توتر العلاقات الجزائرية المغربية.....57

1- **سياسة فرنسا اتجاه حركة الجهاد بالغرب الجزائري**.....57-64

2- **الصراع المغربي الفرنسي احتلال وجدة، و معركة إيسلي و النتائج المترتبة عنها**.....64-73

المبحث الثاني: نتائج الصراع المغربي الفرنسي وردود الفعل.....73

1- **معاهدة طنجة**.....73-75

2- **معاهدة لالا مغنية**.....75-76

3- **ردود الفعل**.....76-81

الفصل الثالث: التعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد بالمغرب الشرقي(1846-1847).....83

المبحث الأول: إستراتيجية فرنسا والمغرب في القضاء على الأمير.....83

1- **تحريض القبائل المغربية ضد الأمير عبد القادر**.....83-90

2- **تطور المواجهة العسكرية بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان**....91

أ- **معركة تافريست (الأسباب والنتائج)**.....91-94

ب- **معركة قلعية (الأسباب والنتائج)**.....94-96

ج- **إبادة الحشم وبني عامر**.....96-99

د- **معركة سلوان 1847 (الأسباب والحيثيات والنتائج)**.....99-101

هـ- **معركة عجرود (الحيثيات والنتائج)**.....101-103

المبحث الثاني: توقف الأمير عن القتال وردود الفعل.....103

1- **أسباب توقف الأمير عبد القادر عن القتال**.....103-105

2- **تسليم الأمير عبد القادر**.....105-108

3- **ردود الفعل**.....108-111

خاتمة.....113-114

الملاحق.....116-117

قائمة المصادر والمراجع.....121-127

فهرس المحتويات.....129-131